

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد
مكتب الاعلانات
٢٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة
تليفون ٤٣٠١٣

المجلة

مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المستول
احمد حسن الرزات
*
الادارة
بشارع البدولى رقم ٣٢
مابدين - القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ١٦٠ « القاهرة في يوم الاثنين ٨ جادى الأولى سنة ١٣٥٥ - ٢٧ يولييه سنة ١٩٣٦ » السنة الرابعة

الطماطم السياسية ... للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

كان (م) بإسارحه الله داهية من دهاة السياسة المصرية .
يلتوى مرة في يدها التواء الحبل ، ويستوى في يدها مرة استواء
الليف ، ولا يرى أبدأ إلا منكسكاً متحرزاً كأن له عدواً
لا يدري أين هو ولا متى يقتحم عليه ، ولكنه كثيره من
الرؤساء الذين كانوا آلابت للكذب بين طالب الحق وغاصب
الحق - يعرف أن عدوه كامن في أعماله . وكان ذكياً أريباً ،
غير أن ملابسته للسياسة النائرة على محورها - جعلت نصف
ذكائه من الذكاء ونصفه من المكر . فكان في مراوغته كأن له
ثلاثة عقول : أحدها مصرى والآخر انجليزى والثالث خارج
من الحالين

وبهذا تقدم وعاش أثيراً عند الرؤساء من الانجليز ، واستمرت
عجاريه مطردةً لسيهم حتى بلغوا به الى الوزارة إذ كان حسن
الفهم عنهم سريع الاستجابة اليهم ؛ يفهم معنى ألفاظهم ،
ومعنى النية التي تكون وراء ألفاظهم ، ومعنى آخر يتبرع

فهرس العدد

صفحة	
١٢٠١	الطماطم السياسي ... : الأستاذ مصطفى صادق الرافعي
١٢٠٣	عقراً أيها التناد ... : الأستاذ محمد فريد أبو حديد ...
١٢٠٦	ذات السوب الأرجواني : الأستاذ ابراهيم عبدالقادر المازني
١٢١٠	التمري مؤرخ الأندلس : الأستاذ محمد عبد الله عنان ...
١٢١٣	مقتل أبي الطيب المتنبي : الدكتور عبد الوهاب عزام ...
١٢١٨	نظام الطلاق في الاسلام : الأستاذ أحمد محمد شاكر ...
١٢٢٠	ذائق اليعيبي ... : د. خ. ...
١٢٢٤	شعراء الموسم في الميزان : الأديب عباس حسان خضر ...
١٢٢٨	أثر الحرب الكبرى { : الأستاذ محمد بدران ... في بريطانيا ...
١٢٣١	مقطوعات شعرية (قصيدة) : الأستاذ عبد الرحمن شكرى ...
١٢٣٢	جهاد فلسطين : الأستاذ أحمد الطرابلسي ...
١٢٣٣	أهل ووطن (قصة) : الأستاذ كامل محمود حبيب ...
١٢٣٦	أنتيجون : الأستاذ دريني خنية ...
١٢٣٩	الأدب الهندى في مختلف أطواره ...
١٢٤٠	كتاب جديد لمسارى ستوبس ...
١٢٤٠	أثر تذكارى للموسيقى لت ...

فليعمل لها ولنفسه كأنها موقوفة عليه وكأنه مستمر فيها
هذه حكمة إسلامية دقيقة عندنا نحن لفظها ولنسنا نعرف
معناها ، وعند الأنجليز معناها ولا يعرفون لفظها . أم الملمون
أم نحن ؟

وعلى قاعدة الانفراد انفراد كل شيء ، فأثر الشرق حياته
على وطنه ، وقدم لذه على واجبه ، وتعامل بالسال في مواضع
الماملة بالأخلاق ؛ وكان طبيعياً مع هذا أن يختصر الدين
اختصاراً يحمله مقداراً بين مقدارين فلا هو دين ولا هو غير دين ،
وبذلك يناسب فرديته ويقدم تحت حكمه وهو خارج عليه .
فترى الرجل من هذه الملايين يؤمن بالله وهو يحلف به كذباً على
درهم ، ويعمل ويفجر في يوم واحد ، ويتمسك في نفسه ويخون
سواء في وقت مما

ومتى كانت الحالة النفسية للأمة هي هذه الفردية ومصلحتها
ودواعيها كان الكذب أظهر خلال هذه الأمة ، إذ هو انفراد
الكاذب بحظه ومصلحته وداعيته ؛ ولا يكذب عليك إلا من
يرجو أن تكون مغفلاً أو من قدر في نفسه أن الماملة العامة في
الأمة هي على قاعدة المنفذين ويكذبون في هذا أيضاً فيسمونه
حذقاً وبراعة (وشطارة)

وإذا عم الكذب فشا منه الهزل ؛ فكل كاذب هازل ،
وهل يجد الكاذب وهو يكذب إلا إذا كان مجنوناً ؟ ومن الهزل
ضرب هو البساطة بالكذب ، ومنه ضرب من كذب الحقائق ،
ومنه من كذب الخيال ، وكيفما دارت الحال لا تجده إلا كذباً
ومتى صار الكذب أسلاً يُسَمَلُ عليه ، تقرر عند الناس
أن الكلام إنما يقال ليُقالَ فقط . أفلمت ترى الرجلين إذا أخبر
أحدهما صاحبه بالخبر فيه شيء من الغرابة أو البعد ، لا يكلمه
الآخر أول ما يتكلم إلا أن يسأله : صحيح ؟ صدق ؟

ولا أضر على الأمة من هذه العقيدة - عقيدة أن الكلام
يقال ليُقالَ فقط - فأنها هي طابع الهزل على أخلاق الأمة وعلى
كل أحوالها وعلى حكومتها أيضاً

ومن الهزل والكذب ترانا مبالين في كل شيء حتى ليكون
لنا الواحد كالأحد في غيرنا فنحيطه مائة بصيفرين نجيء بأحدهما
من اعتيادنا الكذب على الحقيقة ، ونجيء بالآخر من حقيقة

هو به لألفاظهم . . . فكان هو وأمثاله في رأى تلك السياسة
القديمة رجالاً كالأفكار ، يوضع أحدهم في مكانه من الحكم
كما يوضع صيغة الشك لاقصاد اليقين ، أو صيغة الوم لتوليد
الخيال ، أو صيغة الهوى لإيجاد الفتنة

وكان صديق (فلان) رحمه الله صاحب سره (المكرتير)
وقد وثق به الباشا حتى إنه كان يُسَمِّلُهُ بما في نفسه ، ويبثه
هومته وأحزانه ، ويرى فيه دنيا حرّة يخرج إليها كلما ضاقت
به دنيا وظيفته ، ويستعير منه اليقين أحياناً بأنه لا يزال معرباً
لم يتمّ بعدُ تمويله في الكرسي

فحدثني الصديق بعد موت هذا الباشا قال : إنه دعاه
يوماً ليُتَاجَمَحه الرأى في أمر من أموره ، ثم قال له : إن
الرئيس الأنجليزى غير مطمئن إليك لأن حقيقة من الحقائق
الصريحة ظاهرة على وجهك فأنت تنظر إليه وكأنك تقول
له ببينيك إنك مصرى محتل

قال صاحب السر : لئن كان ذلك ما يفضيه إن الخطب لهين ،
فلست أنظر إليه بعد اليوم إلا من وراء نظارة سوداء

فضحك الباشا وقال : يا بى هذا الأنجليزى عندنا كالشيطان
« إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم » ، والله يا بى
إني لأشدُّ أمانةً منك وإن صدرى لشجى مما أنا فيه من هذا
الكرب ، ولكننا نحن الشرقيين قد ضمنا منذ فقدنا
الشخصية الاجتماعية

أراك تفهم شيئاً لو قلت لك : رجل ، أسد ، جبل ،
مدينة ، أسطول ؟ إن تركيبنا الاجتماعى شيء كهذا الكلام فيه
من ضخامة اللفظ بقدر ما فيه من انحلال المعنى واضمحلاله .
ولكل كلمة إذا أفردت معنى صحيح يقوم بها وتقوم به غير أنه
يتحول في الجملة الى معنى كلامى

أصبح الشرق يعيش في أمته على قاعدة أنه متفرد لا صلة
بينه وبين الأطراف لا في الزمان ولا في المكان . ونسى معنى
الحديث الشريف : « عمل لذيالك كأنك تميش أبداً » فإذا
كان يريد أعظم المصلحين الاجتماعيين من قوله « كأنك تميش
أبداً » إلا أن يقرر لأمته أن الفرد ينبوع الأجيال المقبلة كلها

عفوا أيها النقاد !

للأستاذ محمد فريد أبو حديد

أطلب اليكم المغفوا يا معشر الناقدين ، فاني لا أقصد بهذه الكلمة إلا الدعاية والمفاكحة — فقد رأيت الصيف قد اشتد ، واحتدمت وقدمته ، وأردت أن أتقرب اليكم بما يزيل لسمته أو يخفف منها — ولا أدري ما الذي أغراني بهذه المداعبة المخطرة ، فوالله لقد كنت أرى أن مداعبة الفهود والنمور أهون أمراً وأسلم عاقبة من مداعبة نقاد الأدب . ولقد كانت دوني لو أردت مندوحة عن ذلك الترض ، فلو شئت لداعبت الأدباء كافة ، ولم يكن على بأس منهم ، فاني لا أخشى من الأدباء بطشاً ولا صولاً ، لأنهم يسيلون رقة وليونة ، وقد طبع الله في قلوبهم وداعة وسلاماً ، فمنهم من يأخذه الجمال فيسلم له قياده حتى ليصير كالحمل يصرفه أضعف الخلق كيف يشاء ، وإن منهم من قد استعرقه الفكر وغلب عليه فلا تراه إلا حالماً لا يكلف أحداً مؤونة في تصريفه ولا مشقة في معاملته — فهؤلاء لا يأتي خوف من قبلمهم ولا يتكلف المره حيلة في معاشتهم — ولكن الناقد — والله يكلؤنا بحمايته ، فبه سلامة ، وله شوكة ؛ فهو دائماً معقود الجبين على الصرامة ، عملى المينين على اليقظة ، كثير التجهم واللوم ، فاذا أخذته الرقة أحياناً رأته يربت على كتف الناس متنازلاً من عليائه ، وكل حركة من حركاته تتم عن دخيلة نفسه وكين عقيدته ، إذ كما يقول عند ذلك : « إنا نمطع على هؤلاء الساكنين تشجيعاً لهم حتى لا تنكسر قلوبهم »

لست أدري ما الذي أغراني بهذه المداعبة إلا أن يكون هذا الصديق المجيب التأثير الأستاذ أحمد حسن الزيات ، فانه منذ كتب في النقد وأنا أمانع نفسي وأغالبها لكي أمتنع عن الخوض في الميدان الذي أثار غباره — ثم هأنذا تلبني نفسي على الأمر ، فأكتب للنقاد متمرضاً لما يتعرض له الداخل إلى حظائر السباع على أني مع ذلك قد قدمت في أول قولي أني إنما أداعب ولا أقصد إلا المفاكحة — فلعل تقدي على هذا النحو يلوى عني

الشوكة التي أخشاها ، ويكف عني الغضب والنقمة

لقد حمل الأستاذ أحمد الأمين يمن إلى عصر مضى من مصور

إفلاستا . هذه مبالغة خطيرة وأخطر ما فيها أننا نريد بها المبالغة في الدلالة على الأشياء ، فتقلب مبالغة في الدلالة علينا نحن وعلى كذب طبعنا وعلى قوضى العقل فينا . نعم وحتى تثبت أننا لا نعزم لنا من كونها مبالغة لا تدقيق في معناها ، وأن لا صبر لنا من أنها لا ثبات لحقيقتها الهزومة ، وأن لا شدة لنا في طلب الحق لأننا بها من أهل النغلة في وصف الحق ، وأننا لا تمثل المواقب إذ نرسل الكلام أرسالاً ولا نخشى ما يكون من عاقبته . وأيسر ما يفهم من هذه المبالغات التي أصبحت طريقة من طرق السب في التمييز — أن هذا السب لا يصلح في شيء إلا بالحكومة ، فهو نفسه كالمبالغة ، والحكومة له كالتصحيح . وهذه هي الملة في أن السب الكذوب يلجأ إلى حكومته في كل كبيرة وصغيرة في العمل ، كما أنها هي الملة في أن حكومته تكذب عليه بكل صغيرة وكبيرة في السياسة

ومن أثر الكذب الشعبي والمبالغة الشعبية ما تراه من اهتمام كل فرد بما يقول الناس عن أعماله فيديرها على ذلك وإن قات متفعتها ، وإن فسدت حقيقتها ، وإن جلبت عليه من الضرر في ماله ونفسه ما هي جالبة ؛ فقاعتهم هي هذه : ليس الشأن في الحياة للعمل في نفسه ولكن فيما يقال عنه ، فان لم يُقل شيء فلا نعمل شيئاً . . .

هذه يا بني أمة لا يكون حكامها إلا مبالغات أيضاً

قال صاحب السر : وارتفع من الطريق صوت بائع يتادى على سياسته : أحسن من التفاح يا طهاطم . . .

فضحك الباشا وقال : هكذا يقولون لنا عن الطهاطم السياسي العففين ، إنه ليس تفاحاً وحسب ، بل هو أحسن من التفاح إن الأمة لن تكون في موضعها إلا إذا وضعت الكلمة في موضعها ، وإن أول ما يدل على صحة الأخلاق في أمة كلمة الصدق فيها ، والأمة التي لا يحكمها الصدق لا تكون معها كل مظاهر الحكم إلا كذباً وهزلاً ومبالغة ما

(سيرى بشر يا كبرية)

(إلى الصابرة) : حضر إليك من عدم الرد على كتابك ، فقد أمنت بين أوراق فضاء عزرائلك فيه (الرائع)

الأدب في مصر ، وجعل يبرر نقاد العصر الحاضر بالتقصير والميل حتى لقد استعبرت من قوط الأسي على ما فات عصرنا الحاضر من جليل النفع . ولكني ما لبثت أن أفقت من أثر قوله وجمعات أرجع بالذهن إلى العصور التي شهدتها فلم أجد ذلك العصر الذي يؤنبه ويذكر محاسنه ؛ فقله يشير إلى عصر لم أشهده ولم أعرف شيئاً عنه ، وذلك أني لم أجد بعد حلقة الخمسين من السن ولا علم لي بما كان قبل ذلك ، وإنني لم أدرك ما كان حولي إلا نحواً من ثلاثين عاماً ، وليس في هذا ما يكفي لأن أرد على الأستاذ حكمه ، فرجأ إلى أن يحدد ذلك الماضي أين وقع ؟ وهل كان منذ ثلاثين عاماً أم كان منذ أربعين أو خمسين ، فهو أعلم بما يقول مما شهد في حياته المباركة إن شاء الله

على أني إذا كددت الذاكرة في السنوات الثلاثين التي أدركت فيها ما كان حولي لم أذكر إلا محاولة ضئيلة في النقد كان أكثرها من شبان أكبر منهم أن تذكر أسماؤهم إلى جانب الأسماء النابهة في عصرهم — ولقد كانت وسيلتهم دائماً أن يتلوا من مقام أديب نابه لمجت الألسنة بذكره ، لا يقصدون النقد والحق ، ولكن يقصدون أن تتحول الأنظار إلى شخصهم . ولست أذكر فيما أذكر من تلك السنوات أن تعرض نقد تعرضاً يذكر إلا لأمثال شوق وحافظ — كأنما النقد قد صب سباً في قالب واحد ، فهو لا يتبع لغير الشعر وقصائده ودواوينه ، وأما ما عدا ذلك فلا أذكر أن قامت معركة على كتاب من الكتب التي نقلها الأستاذ الكبير فتحي زغلول ، ولا على كتاب مثل (التربية الاستقلالية) ، بل لا أذكر نقداً يذكر قائل به النقاد ترجمة حافظ لجزء من البؤساء ، أو قصة (زينب) الهيكلي ، أو ما ألفه المنفلوطي ، أو الأستاذ فريد وجدي

وإني كلما أدت الفكر في ذلك العصر الماضي لم أجد إلا محاولات بسيطة تشبه محاولات الطفولة في النقد — وقد صدق الأستاذ هيكلي في تصوير ذلك إذ قال إن النقد أول ما يمانيه الأديب الناشئ من المحاولات فان كان لنا من تعرض إلى ذلك الأمر فانا نحمد الله إذ انقضى ذلك العصر بما كان فيه

فهمل في شرعة الانصاف أن يتوفر مؤلف على كتاب لا يزال دائباً على البحث من أجله ، ويقضى النهار والليل في التحقيق

والثبوت ليخرج به على الناس فيجلو لهم أموراً كانت من قبل مظلمة ، ويبين لهم مواطن كانت مبهمه غامضة ، فاذا به يرى ناشئاً من الشباب يريد أن يحول الأنظار إليه فيتناول ذلك الكتاب المسكين بالنقد ولا يزال به حكا ونجربحاً بيد تقيلة غير صناع حتى يدميه ويلهبه ؟ إن هذا اذن لشبيه باليتيم المسكين الذي يذهب الى الحلاق ليسوي له شعره ويزيل عنه الشمث والأغبار فاذا بذلك الحلاق يدفنه الى أحدث صيانه وأقلمه مهارة ليتلم الصناعة في رأسه . لا . لا . فالهم حوالينا ولا علينا . فاكان لنا أن نلوم شباب اليوم كما يجب لنا الدكتور هيكلي أن نفعل ، بل إن غلينا أن نحمد فيهم ذلك العقل الراجح وهذا الذوق الجليل الذي حدا بهم الى تجنب النقد في هذه الأيام ؛ وإنها لمنفعة لصرنا أن موجة النقد قد ركبت فيه ما دام ذلك النقد لا يقوى إلا إذا أخذ به الشباب الناشئ ليجمله وسيلة ليظهر للناس مقدرة على الكلام والكتابة وتدوير المعاني وتلفيها

على أني أرجو أن يتفرغ لي النقاد إذا قلت لهم إن هذا العصر لا يشكرهم على يد أطول من انصرافهم عن النقد . فان الأدياء قد وجدوا في صمتهم متنفساً . وإنها لفرصة لمن شاء أن يؤلف فليقتنمها المؤلفون في غفلة من الدهر . وأي شيء أعديل وأسمح من أن يؤلف المؤلف إذا شاء فاذا وجد من يقرأ له كان سعيداً مجدوداً . وللناس عقولهم ، فاذا أعجبهم ما قرأوا له أقبلوا على مؤلفاته وألقوا اليه بأنواع التحية وأشاروا اليه بالبنان كلما رأوه كما كان يفعل الناس في العصر الخوالي . وأما إذا كره الناس ما قرأوا للمؤلف انصرفوا عنه ، وحسبه بمد ذلك أن يخسر ما بذل من ثمن الجبر والورق والطبع ..

إن القوامة مكروهة أيها كانت ؛ فاذا أخذ النقد شكل القوامة كان حربياً بأن يكون مكروهاً . هذا إذا كان القيم ممن يحسبون السيطرة ويمسولون في الهيمنة — فا بالنابه إذا كان يسرف ويدل ؟ وإلا فوايم الله إن من النقاد من لو حكمت في أمره لأصرت جميع بانئي الأفلام من كل الأنواع بأن يمتنعوا عن أن يبيموه قلماً واحداً . وإنني لأذكر أحد هؤلاء وهو ممن تزعموا في المروية وقد نقد كتاباً مترجماً عن الإنجليزية في تاريخ مصر . ولم يشأ أن يحمل نقده لذلك الكتاب في مقالة مفردة فقرن بينه وبين كتاب ق فن (الطهي الحديث) وأطايه . ولقد رأيت

اليه فأرسلت إليه بمؤلف آخر لا يقل في حقارته عن المؤلف الأول ،
وقلت في نفسي إنه في هذه المرة لا بد واثب على كتابي ، وممزه
كل ممزق - ولبنت أنتظر طمته وأنا متوار ، وطال بي الانتظار
على غير جدوى ، فمرفت أن من الكتب ما ينحط عن مقدار النقد ،
ولو قد تكرم ذلك الناقد فقال لي كما قال مرة لأحد الشعراء :
« إنك لا تعرف شيئاً » لما تأملت مثل تألبي من سكوتة عني ، لأنني
كنت عند ذلك أفاخر الناس بأن ذلك الأديب قد قرأ كتابي ،
وحكم على باني لا أعرف شيئاً . ولا عجب في ذلك ، فقد كان من
أجدادي رجل - كما كان من أجداد كثير من القراء مثل
جدي - أقول كان من أجدادي رجل إذا امتنع عن دفع المال
للحاكم أمر المدير فأحضره وأهلب ظهره بمائة سوط - فكان
إذا أفاق من غشيته بد الضرب بضحك ويقول : « الحمد لله إذ
ضربني المدير بنفسه » ثم نظر إلى الحاكم الغاضب وضحك مرة
أخرى وقال : « ضريك شرف بإسمادة اليك ! »

وبعد فلقد أنساني آخر الكلام أوله ، ولا بد من أن أعود إلى
ما كنت فيه . أقول إنني أخالف الأستاذ أحمد الأمين في رأيه كل
المخالفة ، ولا أذم النقاد في عصرنا الحاضر ، بل إنني أشكرهم وأعداهم
مكرمة عظيمة أن قروا في النقد وخشعوا عنه . ولعل فيما قدمت
من قولي ما يقنع الأستاذ ومن يرى رأيه بأن واجبنا أن نحمد الله
على قلة النقد وتمغف الناقد من عنه ، واقتصارهم على الاعلان والمجاملة
أحياناً ، أو التجهم أو التنكر أحياناً أخرى بحسب مكان المؤلف
منهم وهل هو صديق أم هو بئس ؟ فلقد أدرك الناس منهم ذلك
واطمأنوا إليه . فإذا أراد الأستاذ بعد ذلك أن يستمر في الحاجة
والناقشة فإني مضطر إلى أن أجلسه إلى ركن لا يستطيع فيه
القاومة ولا يجيد لنفسه مناصاً من الاقرار لي بالنقبة - وذلك
أنه قال إن التأليف قد زاد في عصرنا - أليس كذلك ؟ ثم قال
إن النقد قد ركد كذلك في عصرنا - أليس كذلك ؟

أفلا يرى الأستاذ اللوذعي أن هاتين الحقيقتين منذ تلازمتا
كانت إحداهما نتيجة للأخرى ؟
فإذا أراد الأستاذ أن يستمر التأليف على نهجته كان عليه
أن يترك النقد تماماً ولا يوقفه

أيحاول الأستاذ الأمين بعد هذا مجادلة ؟

محمد فريد أبو حيدر

ذلك الكاتب المفضل بعد ذلك يتنقل في النقد ما بين المعلوم
والفنون فضرب عاقاه الله في التاريخ والتصوف والحديث واللغة
والدين والفلسفة . ولا أعلم بعد إذا كان قد بلغ حظائر الطب
والموسيقى والفلك أم هو سائر في طريقه إليها . ولم يكن هذا
الناقد فذاً في هذا النهم العلمي ! بل لقد رأيت علماء من أعلام النقد
في مصر يستعرض سلسلة من المؤلفات ويبدى رأيه في كل منها ،
ويهرز رأسه عند الانتهاء من نقد كل منها ، ويلس لحيته لس
الفلاسفة الأقدمين ! وكأني به قد نسي أن العصر قد تقدم على
عهد سقراط وأفلاطون وأرسطو ، وأن الناس قد أخذوا الحام
أخذاً شديداً فلم يدعوا فيها شمرة واحدة . ولقد رأيت كاتباً عبقرياً
أخذ على نفسه أن ينقد الأدباء . وواتاه القلم على عادته وأصاخ له
الناس على عادتهم ، وهو إذا تكلم أو كتب فالتاس كلهم أسمع
ثم استعرض بين حين وحين كتاباً فكان كل ما استعرضه
أو جله دواوين للشعر ، وهذا حسن ، فبلده قد خصص نفسه للغة
وما يتعلق بها ، وقرأت نقده كما قرأه الناس فكان لبقاً كما دونه حلو
الحديث مما وجهه الله في أسلوبه ، ولكنني لم أستطع أن أفهم ما قال .
فلقد كان قوله إما مدحاً يسر الخاطر ويشرح الصدر - أنصد
صدر المؤلف المدوح ، وإما ذمياً يكسر القلب ويدي الفؤاد -
وإنني لم أكن أحد هؤلاء الشعراء فلماذا لم ينلني ذمه بالأم ولا
مدحه بفرح ، وعلى ذلك خرجت من كل ما كتب ، ولم ألقه شيئاً ،
ولم أعرف ماذا أراد أن يقول

إن أغلب ظني أن القباوة هي التي قد حالت بيني وبين فهم
بما قال ذلك الأديب الكبير ، ولكنني لم أسأل أحداً من أصدقائي
عن رأيه إلا وجدته على مثل حظي من القباوة وقلة الادراك
ولهذا السبب كان ذلك الأديب كثير التردد والتقلب في رأيه ،
فبينما هو اليوم يصفق إعجاباً بشاعر أو يصيح تقييراً لأديب ، إذا
به بعد قليل وقد لمح من ذلك الشاعر أو من ذلك الأديب مكراناً
لقتله أو جعوداً لجيله فينقلب مدحه إلى ذم يكاد الدم يسيل
من وقفه

ولقد حسبت مرة أن ذلك الأديب الكبير قد خصص
نفسه للنقد حقاً ، فأرسلت إليه بمؤلف حقير لي ثم تواريت
خجلاً وجعلت أنتظر نقده وأقرأ جرائده كل يوم مدة طويلة حتى
سكنت ولم أظفر بشيء . ثم نسيت ذلك الأمر وعدت بعد سنوات

ذات الثوب الأرجواني

للأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني

(تنبيه : للكلام كله تخيل ولا أصل أو حقيقة له)

- ٧ -

طلبت من الريف ما لا سبيل إليه في هذه المدينة العظيمة ذات المائر الشائعة ، والبني الرقيقة ، والهواء الحبيس ، والذفوس المروضة على تكلف غير طبايعها . وكان بمض قومي قد سبقوني ؛ فأبأنهم أنى لاحق بهم ، وإذا بيرية تردني منهم يقولون فيها : « هات فتنة ملك » فلم أدر ما - أو من - « فتنة » هذه .. أقطعة هي يا ترى ؟ أم فتاة ؟ أم كلبة ؟ أم ماذا ؟ ... وكنت أعبد حقائبي ، ومكتب البرق بيدي مني ، وحدثني نفسي أنهم يبرفون أنى لا أعرف « فتنة » . فالأرجح أن يكونوا قد أبرقوا إليها لتتصل بي ، أو لأصحابها إذا كانت حيواناً . وقلت سأسافر على كل حال في الوقت المبين . جاءت « فتنة » أم لم تجيء . وأنبئت على الحقية أحشر فيها - فإلى قدرة على الترتيب والتنظيم - ما أقدر أن سأحتاج إليه ، وإذا بالباب يفرع فرعاً مزيجاً لاهمدي به ، ففزعت ومضيت إليه على عجل مخافة أن يكسره الطارق . ودار في نفسي أن هكذا دق « تيمون الأثيني » باب الآخرة حين أنحدر إليها بعد أن وافاه حينه الذي كان ينتظره بصبر فارغ من فرط كرهه للناس ، فان أساطير اليونان زعم أن الناس يهبطون بعد موتهم إلى وادي الظلال ، وهناك يحشدون في الفجر ويعدون وتبقيد أساؤم ثم يركبونهم زورقاً - غير بخاري بالطبع - إلى وادي القنوط حيث يكون الحساب . ومن غرائب هذه الأسطورة أن على كل راكب أو محمول في هذا الزورق أن يؤدي أجرة العبور إلى وادي القنوط . . . وقد ضحكت وأنا أذكر هذا إذ أمشي إلى الباب ، وقلت لنفسي والله أن بيتي لك وادي القنوط بفضل « ذات الثوب الأرجواني » وما أخلفتني حين أفتح الباب لهذا الزائر المستعجل أن أرحب به بهذه الآيات القديمة التي نظمها المناسبة شبيهة بهذه :

« داؤنا مغرب أنوار الحياء من رآها لم ير الضوء الطليق
ما لمن يهوى إليها من نجاء ما لما يضرب فيها من شروق

وهي ، في الآكوان ، دنيا عاقر كل زخار له فيها ركود
ضرب السحر عليها ساحر ففى عنوان على عقم الوجود
ولكن شيئاً - لعله الالهام - صرفني عن هذه التحية
غير الطيبة ، فقد كان الزائر فتاة أشهد أنها من أجل - إذا لم تكن
أجل - من رأيت في حياتي ؛ وكانت رشيقة مشوقة ، ووجهها
وضاح ؛ أما عينها فأعوذ بالله منها ؛ أعني أن البراقع ما اتخذت
إلا لتقى الناس سحر مثلها

وقالت وهي تنساب كالماء الرقراق : « لست تعرفني بالطبع ..
ولكنى أنا أعرفك »

قلت : « تفضل .. أعنى أولاً .. وبعد ذلك يتسع الوقت
للسؤال والجواب »

قالت : « متى تسافر ؟ »

قلت : « هل تعلمت في إنجلترا .. أو لعل أبالك أنجليزى ؟ »

قالت : « لماذا .. انى سمراء . أو لولنى أقرب الى السمرة ..

ثم إنى لا أعرف الأنجليزية .. تعلمت في « الميرده ديه » فقط »

قلت : « هذا أحسن .. على كل حال إنما عنيت أنك تمنين

الى غرضك بلا لف ولا تضييع الوقت .. سأسافر في الفجر »

قالت : « سأبث إليك إذن بالحقائب الليلة وأجى أنا قبيل

الفجر »

قلت بفرح : « أنت إذن « فتنة » ؟ ؟ لقد صدق الذى سماك »

فقالت وهي تمهض عن الكرسي وتمضى إلى المنضدة وتقلب

ما عليها : « أليس عندك سجاور ؟ . أم أنت لا تدخن ؟ . »

قلت : « إنك صغيرة جداً .. ولكن خذى »

فأخذت سيجارة وانطلقت تدخن وهي ساهمة وأنا أنظر

إليها ولا أقول شيئاً ، فقد خطر لى أنى سأشهد فصولاً كثيرة

متتابعة لهذه الرواية . وإذا بها ترى السيجارة من النافذة وتقول

« إلى الملتقى إذن .. وشكراً لك »

وليس أبنض إلى من أن رى الناس ما أصنع أو يشهدوا

خروجى ودخولى وسفرى وإيابى . ولكنى أحسب الدنيا كلها

- دنيا شارعتنا على الأقل - قد علمت أنى مسافر بالسيارة ،

قالت : « أراهن أنك لن تقبل بعد اليوم أن تحمل في سيارتك فتاة أخرى » ثم التفتت إلى أعمى أنها انحنت قليلاً إلى الأمام وواجهتني وهي تبسم وقالت : « قد تكره أن تسمع مني هذا ولكني شاكرة ... شاكرة جداً .. وقد أتميتك .. لا تقل شيئاً فاني واثقة أني أتميتك . ولكنك كنت حلماً جداً »

نقلت : « كلام فارغ .. قولي شيئاً آخر »

قالت : « لا أدري متى يتاح لي أن أراك مرة أخرى ولهذا عجبت بشكرك في الطريق »

فضطت نفسي بجهد ، ومع ذلك كانت « إيه ؟ » التي نذت عني كالصيحة فقالت : « نعم فاني مرتبطة بأهلي فاذا رحلوا - كما ينوون أن يفعلوا - إلى الاسكندرية رحلت معهم وإلا بقينا .. وأنا أزجو أن يقوفا فاني أريد أن أتعلّى بـ ... وبـ ... »

فصحت بها : « ماذا تمنين ؟؟ أعمى ما الفائدة من حملك كل هذه المرافقة من القاهرة إلى هذه القرية الصحيقة إذا كنت ستختفين غداً ؟؟ »

قالت : « وماذا أصنع ؟. وعلى كل حال كيف يميتك هذا ؟. ماذا يهملك ؟ »

قالت منالطاً : « لاشيء بالطبع ! لك الحق »

قالت : « لقد كنت أمم بأن أقول لك اكتب إلى إذا شئت ولكني عدلت الآن .. من فضلك انتظر لحظة .. دقيقة واحدة فان جوربى اتسخ جداً وأريد أن أغيره قبل أن ندخل البلدة »

فوقفت وزلت من السيارة وذهبت أتمشى فلما عدت - إجابة لندائها - قالت : « الآن أنا نظيفة وجيلة »

نقلت : « أنت دائماً هكذا »

قالت : « صحيح ؟ » وكنت سادماً فافقدت ذرة من نضارتها ورونتها بمد مائة وثمانين كيلومترا

فقالت : « إن خير ما فيك أنك تمنى ما تقول .. فانا أعرف الآن أني دائماً جيلة .. وأنا أعرف بشير معونتك أن ساق جيلتان لانكار .. لقد قلت هذا .. ولكن عيني .. و .. و .. وشمرى .. أنا مضطربة .. لم أسمع منك ثناء على عيني وشمرى »

نقلت باختصار : « خير ما رأيت »

فابتسمت وقالت : « ثناء وجيز .. وجيز جداً .. ولكنه يكفي للاطمئنان .. »

وأن مى فتاة جميلة ستربى النجوم في الظهر الأحمر .. واطلمت - أعمى الدنيا الخاصة - على ما في حقيقتي الصغيرة وحفايتها الكثيرة المتفتحة فقد كانت لا تتأثر بأمرنى بأن أغير كل ما رتبته . هذه الحقيفة لا يجوز أن تكون تحت غيرها لأنها من جلد طوى فهي تخشى عليها التلف .. وهذه الكبيرة فيها مادة محتاج إليه في الطريق فيجب أن تكون فوق .. فأقول ولكن الطريقة يجب أن تكون فوق فاذا أصنع ؟؟ فتقول هات الطريقة معنا في السيارة فأطيع وأحل ما عقلت ، وأعقد ما حلت . ثم يتضح أن فيما ربط خلف السيارة أشياء لا بد منها كل يضع دقائق في الطريق ، فأسال مثل ماذا ؟ فتقول مثل زجاجة الكولونيا الصغيرة وملحقاتها من أدوات الزينة المعروفة التي لا غنى عنها - حتى الفتيات الصغيرات مثل « فتنة » صرن لا يستغنين عن ذلك ، فأعود إلى الحل والمقد وأفتح لها الحفائب - في الطريق من فضلك - ولم تكن الشمس قد طلعت ، ولكنه كان هناك خلق كثير احتشد لتكيدتي ! ! وقد عنيت بأن أحصى هذا الخلق وإليك البيان :

(١) سائق مركبة « كارو » - سكران على الأرجح

(٢) ستة من عمال الطرق ياندون بمشون صفيين ومعهم الكانس يحملونها كما يحمل الجنود البنادق . وقد وقفوا ينظرون إلينا مسرورين

(٣) قطتان : واحدة على رصيفنا والأخرى على رصيف « ذات الثوب الأرجواني »

(٤) أربعة غلمان كانوا سائرين فلما رأونا واقفهم منظرنا فوقفوا ينظرون ويتبادلون الملاحظات ولا أدري من أين جاؤوا ولا إلى أين كانوا ذاهبين في هذه البكرة

(٥) رجل من عمال شركة النور كرف حين رأانا عن اطفاء الماسبيح وجاء ووقف مع الغلمان

ولم أحسب المارة الذين أبي لهم أدبهم - أو ذمهم أن يقفوا ويتفرجوا . وقد كان هؤلاء جميعاً يضحكون منا حتى القطتان ولا أمل القارى بوصف هذه الرحلة وما جرى فيها فليس لهذا آخر ، فقد كان كل كيلو فيها لا يخلو من حادثة ، وصار لي في هذه السكة الزراعية من الذكريات بمد ما على جانبيها من الأشجار . ولما دوننا من البلدة قالت : « هل هذه هي ... »

قلت : « قربنا »

فلم يسمنى إلا أن أقرصها وأنا أصبح بها : « ياملونه »

وأعود إلى الريف الذى نشدت في ظله الروح والراحة فأقول
إن هذه الزروع التى تمتد إلى النهر والتى كانت تبدو لى في الظلام
سوداء أنمشت روعى وبردت دماى التى كانت تغلى في عروقى
ووهبتى السكينة والهدوء لأعصابى التى أثارها التيفظ والمنضب ،
والروح لقلبي الذى أجهد حب عقيم ، ولكنه مع ذلك
مضطرم . وقد كلتني الأشجار الوارفة ، والمياه الجارية ، والهواء
الندى ، والظلال اللديدة تحت الألفاف المشججئة . وقالت لى
كلها أنى غطى في ثورتي وغضبي وأنى يجب أن أعرف وأدرك
أنى لاشئ في حياة ذات الثوب الأرجواني ، ولما كنت لاشئ
فان من التطاول والغرور أن أحاول أن أحشر نفسى في حياتها ،
وأن أزعمها بوجودى وأن أهيمن عليها وأسيطر . نعم أنا لاشئ .
وليس لى عند ذات الثوب الأرجواني شئ . . لا اختلاجة
واحدة من جفنها . ولا نبضة من عروقها . ولا خفقة مفردة من
قلبي ، ولا خاطرأ مما يجول في رأسها أو يدور في نفسها . . ولا
نفساً واحداً من هذه الآلاف والملايين من الأنفاس التى يملو لها
صدرها ويهبط . . حتى هنا الذى هو للهواء ليس لى منه شئ . !
ونصبت يومين بين أحضان الطبيعة العريجة فكانت
أشجارها ومياهها وأطيافها تמיד على مسمى هذا المعنى في كل
ليلة وتكرره وإن اختلفت الأتنام وتمددت الأصوات ، وما
كانت تמיד أو تسمى إلا ما كانت تسمى تحدثني به ، وقابى
يخبرني أنه الحق الذى كنت أحاول بالأمل أن أخفقه كل ليلة في
ظلمة الليل على وسادتي كأه صوت « ديدمونه » إذ يميل على عنقها
عليل يديه الكبيرتين التليظتين .

وعدت وقد وطنت نفسي على اليأس ، وخيل إلى أنها
سكنت واطه أنت ، جلست في شرفتي ملفوفاً في سواد الليل ،
وفي قاي برد السكينة ، أنظر إلى النجوم المتلاعبة ، ولا أنظر إلى
شرفتك وإذا بصوتك يهفو إلى منها . . . موتك إذ تتادين
أحلك . . فذهبت سكينة نفسي ومزقتها الماصفة الكامنة في أعماق
البحر ، وأحسست أن روجي كلها تهزها نبرات هذا الصوت
المجيب . . . وخفت صوت الطبيعة التى حاجتني به في الريف
في ظل الشجر وعلى سيف النهر . . . وكنت تميلين على حافة الشرفة

وترسلين الصوت مجاجلاً في سكون الليل ، وتهيئين بأخيك
أن يرتد إليك قبل أن يذهب في شأنه ، فوددت لو أنف وأصبح
به وأعينك على إسائه ورده ! ونهضت قملاً ، ولكنى وضعت
يدى على فنى ، وكنت ما كان يوشك أن ترتفع به عقيرتى ثم
أنحططت على قعدى وقد شاع في اليأس « علوا وسفلا » كما يقول
النواسى - اليأس من الشقاء - والخطء على نفسى إذ ذهبت
إلى الريف وحرمت نفسي مرآك يومين كاملين بلا جدوى .

كلا . . . لست ذلك « اللاشئ » الذى زعمتني الطبيعة
الساذجة ! . وليس صحيحاً أن أنفاسك كلها ذاهبة في الهواء كما
تذهب أنفاس الناس . . ولا أن خفقات قلبك ليس لى منها
نصيب . . ولقد غافلتك ومضيت إلى غرفة مظلمة واستمتت
بمنظار مكبر ، فإذا عينك على شرفتي ، وإذا أنت تتلفنين ثم
تحدثين لتتبينى ولتعرقي أباقي أنا في الشرفة حيث كنت أم
دخلت ؟ . وكنت قد غالطتك وبادمتك فأسندت شيئاً على
الكرسى مكاني لتظلى متوهمة أنى هناك حين تنظرين ، ولأستطيع
أن أعرف أين تنظرين حين تغلطين . . فزال الشك فقد طال
تحدثك ثم كأنه رايك شئ من جود هذا القائم على الكرسى
فجعلت تتحولين إلى كل موضع في الشرفة وتنظرين ، ولبثت هكذا
زمناً ثم دخلت ، فما كان منى إلا أن أسرعت وعدت إلى الكرسى
فعمدت عليه مظلمنا كما كانت الحبشية التى وضعتها قاعدة ! إذن
كانت لى تلك الوردة الحمراء التى نفضت عنها طامها وشممتها . .
ولى هذه الإشارة إذ تظهرين على الشرفة فترقبين أناسك
إلى خصل شمرك الرسل وتردينها عن أذنك . . ولى
هذه الابتسامات الرضية حين يسرك من جيلسك أو جيلستك
ما تسمين . . . وإذن لم يكن عقراً أن الفتاه التى زارتك عصر
يوم كانت لا تنفك تدير وجهها وتنظر إلى ناحيتي كأنما تريد أن
ترانى . ولقد عجبت يومئذ لكثرة تلفتها ونظرها إلى وظننت أن
هذا من الفضول الألف ، ثم ترددت وشككت فقد رأيتك
تتكلمين ورأيتها تلتفت ، فتخفين أنت وجهك حتى تردى وجهها
إليك . وتكرر هذا مع زائرة أخرى جلست معك في الشرفة
- وكنت أحسبها قديماً أختاً لك متزوجة لشابه رأيتها فيها
منك - وكان ظهرك إلى وجهها هى إليك وإلى ، وكان الكلام
يدور بينكما ، ولكن عين الزائرة لم تكن الا على أنا ، وأنا

مهزلة فانا أذوى نفسي ، وأمزق أعصابي ، وأحرق دمي ، وهي تغتن أنى متبسط راض قانع يمرآها في هذه الأنواب المدينة التي لا تنفك تخلع منها واحداً وتلبس آخر ؟ . وما أكثر ما آليت لأسحقن هذا الحب ثم ما هو إلا أن أراها ناظرة إلى حتى يتحلل العزم وينقض ما كنت أبرمته منه . فالحق أن هذه مصيبة لم تكن لي في حساب ولا كان يخطر لي في بال أنها ستصيب يوماً على أم رأسي . . وانظر ماذا تصنع معي !! تبدولي في الأرجواني ، وتبقى فيه حتى أراها - أعني حتى توقن أني رأيتها فاني أراها كثيراً وهي لا تراني - فإذا وثقت دخلت وغيرته !! أليست هذه مكابدة متمعدة . . ؟
ابراهيم عبد القادر الملازلي

لجنة التأليف والترجمة والنشر

الشيخ الشيخة الكبرى العظيمة

تأليف رمزي ميور

استاذ التاريخ الحديث بجامعة مانشستر سابقاً

وترجمة الاستاذ محمد بربراه

ناظر مدرسة بنا فادن الابتدائية

كتاب قيم يبحث بحثاً علمياً منطقياً في القوى والموامل الخفية التي كانت تسيطر على أوروبا والعالم أجمع منذ أوائل هذا القرن والتي أدت إلى اشتعال نار الحرب العظمى وعينت شروط التسوية التي أعقبتها ، وهو يشرح ما في هذه التسوية من أغلاط ويتنبأ بالحوادث التي وقعت في العالم في المدة الأخيرة ونقصت شروط هذه التسوية ، وقد أضاف إليه الترجم فصلاً في حوادث الست السنين الأخيرة في الصين والحبشة وألمانيا وبلاد البلقان والشرق الأدنى فهو لذلك كتاب لاغنى عنه للعالم والطالب والقارى العادي ، والكتاب يقع في نحو أربعمائة صفحة ، وقد طبع طبعا متقناً على ورق جميل مصقول ويطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ومن المكاتب الشهيرة ، وتمنه عشرة قروش عند أجرة البريد

أنتاعل عنكما ولكني أراكما ، وقد يما قلت أوى عنى إن لى عينا فى قدى . . وإذن لى عفواً أن أهلك جيماً مينيون بي وأنهم لا يزالون براعوني وينظرون بلى بل براقوني - لولا أنى أكره هذه اللفظة - حتى ليندولى أحياناً أنهم يصطفون فى الشرفة ويمشون إليك وأنت فى الحجره بأخبارى وأنبأى لتمر فى أباى أنا أم خارج . كأنما يحجرون عليك ويمنونك أن تظهرى لى ، ولا يسمعون لك بالبروز إلا بعد أن يوقنوا أنى خرجت وأن فى الوسع انقاء شرى . . كأنما فى الأمر شر . . ويكبر هذا فى وهى أحياناً حتى لا تترك البيت لغير سبب أو داع سوى أن أعفك من عنت أهلك ، وأطلق لك الحربة التي يقيدونها بسببى . . وإذا جاست فى الشرفة تمدت أن أحول عيني إلى ناحية أخرى وإن كان هذا حرماناً لى لاحقاً لهم فيه ، ولكنى من أهلك أحتله وفى سبيك أصبر عليه . وليت من يدري بأى شىء لفت نظر أهلك الى حى لك وأنا أتمشى كل إشارة ؟ بل أنا أجنب أن أنظر إليك حين يكون معك أحد ولو كان طفلاً صغيراً . . فهل ترى حدثتهم أنت بما أحست من ناحيتى ؟؟ ربما . . فان كنت قد فعلت فانت طائشة ، فقد جعلت على نفسك منهم رقبا بلا موجب ، فما بيننا شىء سوى النظر « وهل ذلك نافع ؟ » كما يقول الشاعر القديم . . وقد حدثت نفسى أس أن أشتري ورداً أحمر ، فانك تحبينه على ما يظهر ، وأن أشير به إليك ، ولكنى لم أنسل وقلت لنفسى : « ما الفائدة ؟ . . هبنى أشرت وأشرت وهبها أجابت وأجابت ؟؟ أفنظل أنا أشير إليها من بعيد ، وهى تجاوبنى من بعيد ؟؟ ثم لانى غير ذلك . . عرفنا أنا محبان ثم ماذا بعد هذا ؟؟ هى تظهر فى الشرفة ، وأنا أنظر إليها من الشرفة . . هى فى السماء نجم لامع ، وأنا فوق الأرض عين رفمها إليه قلب واجف ! ! كلا ! لا ورد ولا شبهه ! . ما الفائدة ؟ . ما الفائدة ؟ . إلى أرانى أرجع القهقرى قروناً . . بل أنا لا أرجع ولا أتقدم . . وإنما أرى الحياة تركد وتأسن من حولى لأن ذات الثوب الأرجوانى شاءت أن تكون قطعة من أمات بيت ففى فيه لتكون زينة له لا لتجيا وتمم بالحياة . . وأنا ترى هذا الخاطر قضيت وسخطت وأحست أن نفسى امتلأت صمارة حتى لو وجدت ظمعا على لسانى . . . سخطت على نفسى لأنى خيل إلى أنى إنما أحب فتاة ساذجة يسرها أن تكون محبوبة وتقع من الحب بأن تنظر إلى الرجل وترى الرجل ينظر إليها . . . وغضبت لأنى رأيت أن هذه

المقرى مؤرخ الأندلس

حياته وتراثه

للأستاذ محمد عبد الله عنان

- ١ -

عرفت المقرى - صاحب نفع الطيب - حدثاً، وشفقت بأثره الجامع عن الأندلس، وأعجبت بمجده الجلد، وأدبه المتع، واستطعت بعد أعوام طويلة من البحث والتقيب في تاريخ الأندلس، أن أدرك أهمية الشذور الضافية والوثائق الجمة، التي وقف عليها المقرى في عصره، وألهم أن ينقلها إلينا في كتابه، ولولاه لفاضت مع مصادرها الأصيلية إلى الأبد، وحيل بيننا وبين الانتفاع بذلك التراث الحافل الذى يقدمه إلينا المقرى في كتابيه نفع الطيب وأزهار الرياض

وقد خطر لى غير مرة أن أكتب ترجمة موجزة للمقرى، وأن أستعرض مجهوده وتراثه؛ وأحسب الآن أن فرصة خاصة تمرض لاولفام بهذه المهمة، ذلك أنى قد أزمعت - بمون الله - الرحلة إلى تلك الأندلس التي ملأت حياة المقرى، وأذكت أدبه وبيانه، وأجرت قلبه أعواماً طويلاً، وأزمعت أن أحج إلى تلك الربوع والمروج والمعالن التي أفاض المقرى في وصفها، والتفتى بحاسنها اللذاهبة، وآثار أطلالها الدارسة، والتي ما زالت ذكرياتها قبل المقرى وبيده تسيل عبرات التاريخ الاسلامى

هو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد الشهير بالمقرى نسبة إلى مقررة، موطن أسرته القديم، وهي بلدة من أعمال قسطنطينية، واليها ينتسب عدة من علماء المغرب الأكاير. ولد، كما يحدثنا في مقدمة كتابه « نفع الطيب » بمدينة تلمسان ونشأ بها^(١)، ولم يذكر لنا تاريخ مولده، وهو تاريخ يضمه بمض الباحثين المحدثين في نحو سنة ١٠٠٠ هـ (١٥٩١ - ١٥٩٢ م)^(٢)؛ بيد أنه يلوح لنا من تتبع نشأة المقرى وحوادث حياته حسبما يقصها علينا، أنه ولد قبل ذلك التاريخ بمدة أعوام،

فهو أولاً يذكر لنا أنه « نشأ بتلمسان إلى أن رحل عنها في زمن الشيبة إلى مدينة فاس سنة تسع وألف»^(١)، فلو كان مولده سنة ١٠٠٠ لما تحدث هنا عن الشيبة، إذ يكون عمره عندئذ تسعة أعوام فقط، أعنى غلاماً حدثاً، وهو ما لا ينصرف إليه الشباب؛ ثم هو يشير حين يتحدث عن اعترافه كتابة موسوعته عن الأندلس إلى شبابه اللذاهب الذى قضاه بالمغرب قبل وفوده على مصر سنة ١٠٢٧ هـ^(٢)، وفي هذه الاشارة أيضاً ما يدل على أن المقرى حين مقدمه إلى مصر، كان قد طوى مرحلة الشباب الأولى؛ وربما كان يومئذ في نحو الخامسة والثلاثين من عمره؛ وعلى ذلك يكون مولده قبل الألف بنحو ثمانية أعوام؛ أعنى حوالى سنة ٩٩٢ هـ (١٥٨٤ م)

ونشأ المقرى في تلمسان، التي نشأ بها أبوه وأجداده من قبل، وتلقى بها دراسته الأولى، ودرس الأدب والحديث والفقهاء السالكى دراسة حسنة، وكان بين أساتذته عمه أبو عثمان سعيد المقرى مفتى تلمسان؛ وكانت تلمسان ما زالت حتى عصره من أهم مراكز الدراسة الدينية بالمغرب، وزار فاس لأول مرة سنة ١٠٠٩ هـ، وقضى بها حيناً في الدرس؛ ثم زارها مرة أخرى في سنة ١٠١١ هـ؛ ثم استقر بها منذ سنة ١٠١٣. وكان ذلك في قاعة عصر السلطان أبي العالى زيدان السمدى؛ وسنحت له في فاس عاصمة المغرب الدينية واللملية فرص الدرس المستفيض، ولا سيما في المكتبة السلطانية؛ واتصل بولاي زيدان وآله الأشراف السمديين أمراء مراكش، وولى الامامة والخطابة لجامع القرويين الشهير، ثم ولى الافناء، واستمر في منصبه حتى سنة ١٠٢٧ هـ^(٣)

وفي أواخر سنة ١٠٢٧ هـ، اعترم المقرى الرحلة إلى المشرق. والظاهر أنه لم يمقد هذا المعزم مختاراً، وأنه أرغم عليه لأسباب وظروف يشير إليها، ولا يرضحها؛ فهو يقول لنا إنه « لما قضى الملك الذى ليس لمبيده في أحكامه تمقب أو رد... برحلتى من بلادى، وتقلتى عن محل طارفى وتلادى، تقطر المغرب الأقصى، الذى تمت محاسنه لولا أن سمارسة الفتن سامت بضائع أمته تقصاً، وطابه ببحر الأهوال... وذلك في أواخر رمضان من عام سبعة وعشرين

(١) سلالة مصر (س ٥٩٠)

(٢) نفع الطيب - ج ١ ص ٥٦

(٣) خلاصة الأثر ج ١ ص ٢٠٢؛ وسلالة مصر ص ٥٩٠

(١) نفع الطيب (طبعة القاهرة) ج ١ ص ٨

(٢) الأستاذ ليق بروغناسال في دائرة المعارف الاسلامية

واستقر القرى في القاهرة طوال هذه الأعوام ، ولازم
الدرس والتدريس بالجامع الأزهر ، وتبوأ مكائنه في مجتمع مصر
العلمي والأدبي ، وفي رجب سنة ١٠٣٧ هـ زار القرى بيت المقدس
مرة أخرى ، وألقى بعض دروسه بالجامع الأقصى ، ثم غادرها
بعد بضعة أسابيع إلى دمشق ، فبهرتة محاسنها كما بهرتة القاهرة
من قبل ؛ ورحب به كبير علمائها ومفتيها الشيخ عبد الرحمن
عماد الدين ؛ واتصل بكثير من أدبائها وأعيانها ، وبالأخص بالولي
أحمد أفتدى شاهين وهو من أعيانها الأدباء ؛ وألقى بعض دروسه
في الحديث في الجامع الأموي فاحتشد الطلاب حوله من كل
صوب ، وحفل به المجتمع الدمشقي . وكان يبكي السامعين بمخاطبه
ومواعظه ، ويتسابق العلماء والطلاب إلى ثم يده ؛ وكان أثناء إقامته
بدمشق يكتب الحديث في حلقاتها الأدبية عن الأندلس ومحاسن
تاريخها وذكرياتها وبالأخص عن وزيرها الكبير ابن الخطيب ،
فأقترح عليه صديقه المولى أحمد شاهين أن يضع كتاباً في التعريف
بإبن الخطيب ، ومناقبه ، وترائه من نظم ونثر ؛ فاعتذر أولاً بكثرة
مشاغله ، وقلة مادته وسراجمه ، وخصوصاً لأنه ترك معظمها في
المغرب ، ولكنه اضطر إزاء إلحاح الأهل أن ينزل عند هذه الرغبة ،
ووعده بالوفاء منذ عودته إلى القاهرة (١)

وعاد القرى إلى القاهرة بعد أن أنفق في دمشق بضعة أسابيع ،
وعكف حيناً على إنجاز المهمة التي أخذها على نفسه ، أعني كتابة
ترجمة إبن الخطيب والتعريف بما آثره وترائه ؛ ويقول لنا إنه استطاع
غير بعيد أن ينجز منه قسماً لا بأس به ، ولكنه عاقته عن إتمامه
مشاغل وهموم ؛ والظاهر أن القرى لم يكن في مقامه التأني عن
وطنه ، هائناً قرير البال ، فهو يحدثنا غير مرة عن آلام الغربة
ومتاعها . ومما يقول في ذلك : « وليت شعري علام يحسد من
أبدل الاغتراب شارته ، وأضنف الاضطراب إشارته ، وأنهل
بالدموع أنواده ، وتقلل أضواؤه ، وكثر طله وأدواؤه ، غير عنده
التأمل رواده ، وتنى عن المأمول عنائه ، وأرهف بالتحول سناناه ،
حتى قدح الذكر حناناه ، وملأ الفكر جأشه وجتانه ... وشتان
ما بين الاقتراب والاغتراب ، والسكون في الركون ، والنبو
عنها والاضطراب ، فذاك تسهل غالباً فيه الأغراض والتآرب ،
وهذا تتمتع فيه المقاصد وتتكدر الشارب

بعد الألف ، تاركاً النصب والأهل والوطن والألف ... » (١)
أما هذه الظروف التي يشير إليها القرى والتي قضت عليه بالرحيل
عن الوطن ، فنستطيع فهمها على ضوء الحوادث التي كانت تجوزها
مملكة فاس يومئذ ؛ فقد تولى مولاى زيدان الملك دون أخويه
المأمون ، وأبى فارس (سنة ١٠١٢ هـ) ولم يلبث أن نشبت بينهما
حروب أهلية متوالية ؛ وهزم مولاى زيدان أولاً ، وفر إلى
تلمسان ، ثم استعاد ملكه بعد عدة محاولات دموية ، وبعد أن
أجلى عنه غير مرة ، في سنة ١١٠٨ هـ ؛ بيد أن عهدده كان
مضطرباً ، فباضاً بالحروب والفتن ؛ ولاريب أن القرى لم ترقه
هذه الحياة المضطربة ، وأنه اضطر إلى مناصرة المغرب تفادياً
من عواقب الفتن والدسائس المستمرة التي كانت تكدر صفو
الحياة في فاس ، وعلى كل حال فقد غادر القرى وطنه في أواخر
سنة ١٠٢٧ هـ ، وركب البحر إلى مصر ، وعانى من اضطرابه
وروعته أحوالاً يصعب لنا في عبارات قوية سروعة (٢) ؛ والظاهر
أيضاً أن سفينته كانت تخشى مطاردة القرصان النصارى ، فكان
الخوف مضاعفاً ؛ وقد كانت مياه البحر الأبيض المتوسط يومئذ
منرحاً لمبارك هائلة مستمرة بين سفن المسلمين والنصارى ،
ووصل إلى مصر بعد رحلة شاقة شرجية في أواخر سنة ١٠٢٧ هـ ؛
ووزر بالقاهرة فبهرتة معالمها ومحاسنها رغم ما أصابها في ظل الحكم
التركي من عفاء وتدهور ؛ وأقام بها أشهراً ، ثم اعتزم الرحلة إلى
الحج في أواخر سنة ١٠٢٨ هـ (١٦٦٨ م) فركب البحر إلى الحجاز
وطاف بالأماكن المقدسة ، وعاد إلى القاهرة في المحرم من العام
التالى ؛ ثم زار بيت المقدس في شهر ربيع الأول ، وعاد إلى
القاهرة واستقر بها ؛ وتزوج سيدة مصرية من سيدات الأسرة
الرواقية (٣) ؛ ولكنه لم يكن زواجاً موفقاً ، وقد فصمت عمراه كما
سنرى بعد أعوام من الحياة الزوجية الكدرة . وكرر القرى
الرحلة إلى الحجاز ، وأدى فريضة الحج مراراً ، فلم تأت سنة
١٠٣٧ هـ حتى كان قد أداها خمس مرات ؛ وجاور أثناء الحج في
مكة ، وألقى بها كثيراً من دروسه ، وأملى الحديث في المدينة ،
وعاد إلى مصر من حجته الخامسة في فاتحة سنة ١٠٣٧ هـ (١٦٢٧ م)

(١) نفع الطيب - ج ١ - ص ٨ - راجع أيضاً أزهار الرياض
(طبع تونس) ج ١ ص ٤

(٢) راجع وصف القرى لأحوال البحر فهو بديع شائق (ص ١٩٩ و ٢٠٠)

(٣) خلاصة الأثر - ج ١ ص ٣٠٤

وآدابها ؛ ومن المدح حقاً أن يستطيع المقرئ أن يضع مثل هذا الأثر الضخم في مثل هذه المدة القصيرة ؛ ولكن سنرى أن فضل المقرئ في وضعه يرجع إلى الاقتباس أكثر مما يرجع إلى التأليف ؛ - نرى مع ذلك أن للمقرئ في هذا الاقتباس فضلاً لا يقدر ، وأن نفع الطيب هو أقيم مصادرنا العربية عن تاريخ الأندلس وآدابها

وكان المقرئ منذ عودته من دمشق قد طلق زوجته الوفاية ، ووضع بذلك حداً لتلك الحياة الزوجية الكدرة ؛ وما كاد يتم مؤلفه حتى أزمع العودة إلى دمشق ليتصل فيها بأصدقائه وليطلبهم على مؤلفه الذي وضعه نزولاً على إشارتهم ؛ ولكن الموت عاجله ، فتوفي في جمادى الآخرة سنة ١٠٤١ هـ (يناير سنة ١٦٣٢ م) ، ودفن بقرافة المجاورين بالقاهرة^(١)

(لبحث بقية - النمل ممنوع) محمد عبد الله هذاه

(١) يقول صاحب سلافة المصريين وفاة المقرئ كانت في سنة ١٠٤٦ هـ (س ٥٩١) ولكن الرواية الأولى أرجح ، وهي التي نقلت عليها

لجنة التأليف والترجمة والنشر

أخرجت لجنة التأليف والترجمة والنشر فلسفة المحدثين والمعاصرين تأليف الدكتور أ. وولف أستاذ المنطق بجامعة لندن وتعريب الدكتور أبو العلا عفيفي مدرس الفلسفة بكلية الآداب ، وهي الرسالة الرابعة من خلاصة العلم الحديث ، وقد لخص فيها المؤلف أسئلة المسائل الفلسفية والطرق المختلفة التي عالج بها العلماء حل هذه المسائل ، ثم ذكر أهم اتجاهات الفلسفة الحديثة ، وذكر عدداً من الفلاسفة المحدثين الذين يمثلون كل اتجاه من هذه الاتجاهات ، وقد بلغ عدد الفلاسفة الذين كتب عنهم تسعة وثلاثين تمثل فيهم النزات الفلسفية والعلمية في كل نواحيها

والكتاب مطبوع طبعاً جيداً كطبعات الرسائل السابقة بمطبعة اللجنة ويقع في ٢٤٩ صفحة ، وفي نهايته قائمة بالمصطلحات الفلسفية الواردة في الكتاب ومرادفاتها العربية ومئة ستون ملها ، ويطلب من مركز اللجنة « ٩ شارع الكرداسي بإبيدين - مصر » ، ومن المكاتب الشهيرة

وما أنا عن تحصيل دنيا بماجز ولكن أرى تحصيلها بالدينة وإن طاوعتني رقة الحال مرة وأبت فعلها اخلاق نفس أية وقوله :

تركت رسوم عزي في بلادى وصرت بمصر منسى الرسوم وصنت النفس بالتجريد زهداً وقلت لها عن الملباء صدى غمافة أن أرى بالحرص ممن يكون زمانه أحد الحصوم^(١) كان المقرئ إذن في منغاه متباً معنى ؛ والظاهر أنها كانت متاعب العيش فوق شجون الاغتراب ؛ فقد كانت سوق العلم والأدب يومئذ كاسدة ، وكان المجتمع القاهري قد فقد في ظل النير التركي بهاءه وسمته ورياءه ، وعفت روعة الأزهر الذي كان من قبل موئل الوافدين من كل صوب

ولكن المقرئ عاد فاستأنف الكتابة نزولاً على إلحاف صديقه أحمد شاهين واستتجزئه ، واستطاع أن يتم كتابه عن ابن الخطيب بصورته الأولى في بضعة أشهر فقط لعودته من دمشق ، وذلك في أواخر شهر رمضان سنة ١٠٣٨ هـ (١٦٢٨ م) ؛ وفيه يتناول حياة ابن الخطيب ، ويستعرض سفاته وخلاله ومآثره ، وكثيراً من ثمره ونظمه ؛ ويقول لنا إنه سمي مؤلفه لأول مرة « عرف الطيب في التعريف بالوزير ابن الخطيب »^(٢)

غير أن ذلك المؤلف الأول لم يكن هو « نفع الطيب » كما انتهى إلينا . ذلك أن المقرئ خُطرت له بعد الفراغ من التعريف بابن الخطيب فكرة أخرى هي أن يهد لسكاتبه بذكر الأندلس وتاريخها ومحاسنها وذكرياتها ، وتطورت هذه الفكرة حتى غدت هيكل الكتاب الأصلي ؛ فاستمر في الكتابة عاماً وبضعة أشهر أخرى ، وأنتم مؤلفه حسب وضعه الجديد ، كما يحدثنا في خانة مؤلفه ، في آخر ذي الحجة سنة ١٠٣٩ هـ (١٦٢٩ - ١٦٣٠ م)^(٣) واختار عندئذ لسكاتبه اسماً جديداً ، هو الذي انتهى به إلينا ، وهو :

« نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب

وذكر وزرها لسان الدين بن الخطيب »

والواقع أنه من التواضع أن يسمى « نفع الطيب » كتاباً ، فهو كما سنرى موسوعة ضخمة عن الأندلس ، تاريخها ، وجغرافيتها

(١) نفع الطيب من ٣٩ و ٤٠

(٢) نفع الطيب من ٦١

(٣) في خانة الجزء الرابع

مقتل أبي الطيب المتنبى

بنسبة مرور ألف سنة على وفاته

للدكتور عبد الوهاب عزام

ولا يزال إغضاب عضد الدولة وقد قصده وبذلق مدحه وسمه ،
ونال من عطايه ما أنقله شكراً . ورواية « الشعر على قدر البقاع »
سبيلها في الرد والدحض سبيل أختها

ثم ما الذى يبرى ابن بويه بقتل شاعر عظيم أشاد بذكره
وآثره بالمدح على ابن عمه ممز الدولة ووعدته أن يرجع إليه ليخلد
مآثره . إن أعداء عضد الدولة أولى بهذه التهمة . وقد أدرك
بعض الماصرين أن قتل أبي الطيب إخبار لذمة عضد الدولة فأنشأ
أحياناً يجرسه فيها على عقاب من أخفروا ذمته

سار الشاعر بمرا كبه وأحاله وغلغله حتى بلغ الأهواز
وبين الأهواز وشيراز واحد وخمسون فرسخاً . ثم سار
خمسين فرسخاً حتى بلغ واسط . وهنا تقف لتعرض على القارى
روایتين : الأولى مروية في الصبح المتنبى عن الخالدين قالا :

« كنا قد كتبنا إلى أبي نصر محمد الجبلى نسأله عما صدر
لأبي الطيب المتنبى بعد مفارقتة عضد الدولة وكيف قتل
— وأبو نصر هذا من وجوه الناس في تلك الناحية وله فضل
وأدب جزل وحرمة وجاء — فأجابنا عن كتابنا جواباً طويلاً
يقول في آثائه : وأما ما سألتنا عنه من خبر مقتل أبي الطيب
فأنا أسوقه وأشرحه شرحاً بيتاً » وفي هذا الشرح يذكر أبو نصر
قتل أبي الطيب وسيه . ثم يبين تربص فاتك الأسدى في طريق
الشاعر وعزمه على قتله فيقول :

« وأما شرح الخبر فان فاتك هذا صديق لى . وهو كما سعى
فاتك لسفكه الدماء وإقدامه على الأهوال في مواقف القتال . فلما
سمع الشعر الذى هجا به ضبة اشتد غضبه . ورجع على ضبة باللوم
وقال له كان يجب ألا تجمل لشاعر عليك سبيلاً . وأضمر غير
ما أظهر »

واتصل به انصراف المتنبى من فارس وتوجهه إلى العراق .
وعلم أن اجتيازه بجبل^(١) دير الماقول . فلم يكن ينزل عن فرسه
ومعه جماعة من بني عمه رأيهم في المتنبى مثل رأيه من طلبه
واستسلام خبره من كل صادر ووارد

وكان فاتك خائفاً أن يفوته . وكان كثيراً ما ينزل عندى .
فقلت له يوماً وقد جاءنى وهو يسأل قوماً مجتازين عن المتنبى
- (١) أظنها محرقة عن « جهة » أو « جبال » فليس عند دير

العالمول جبل

خرج أبو الطيب من شيراز لثمان خلون من شعبان قاصداً
بنداد قال الكوفة^(١)

ويقول بعض الرواة إن أبا الطيب لما قدم على عضد الدولة
ومدحه وصله بثلاثة آلاف دينار وثلاثة أفراس عملاقة ، ثم دس
إليه من يسأله أين هذا العطاء من عطاء سيف الدولة ؟ فقال : إن
سيف الدولة كان يعطى طبيماً وعضد الدولة طبيماً . فغضب عضد
الدولة وأوصى إلى جماعة أن يقتلوه^(٢) . وروى صاحب الايضاح
أن عضد الدولة قال إن المتنبى كان جيد الشعر بالترب . فلما
بلغت المتنبى قال : الشعر على قدر البقاع^(٣)

وهاتان روايتان لا تثبتان على النقد . فأبو الطيب قد أفرغ
وسمه في مدح صاحبه ونال من نجوازه ما ملأه شكراً . فكيف
قال ما نسب إليه ؟ وكيف وهو يعلم أن كلامه جرى أن يبلغ
عضد الدولة ؟
وعندنا رواية تخالف هذه :

قال صاحب الصبح المتنبى : حكى عبد العزيز بن يوسف
الجزباني كاتب الانشاء عند عضد الدولة قال : لما دخل أبو الطيب
المتنبى مجلس عضد الدولة وانصرف عنه أتبعه بعض جلسائه ، وقال له
سأله كيف شاهد مجلسنا وأين الأحرار الذين لقبهم منا . قال :
فامتلت أمره وجاريت المتنبى في هذا الميدان . وأطلت معه عنان
القول . فكان جوابه عن جميع ما سمع منى أن قال ما خدمت
عيناي قلبى كاليوم . ولقد اختصر اللفظ وأطال المعنى وأجاد فيه .
وكان ذلك من أوكد الأسباب التى حظى بها عند عضد الدولة

فهذه الرواية أشبه بمحزم أبي الطيب . ولماذا يقول الشاعر في
أمير أفاض عليه عطاه إن هذا عطاه متكلف وسيف الدولة كان
يعطى طبيماً ؟ أكان يبنى إرضاء سيف الدولة وهو في شيراز

(١) ابن خلكان (٢) الصبح ص ٦٩ (٣) المزنة ج ١

من بني عمه قولهم مثل قوله . فقال غلام أبي الطيب وكان عاقلاً :
الصواب ما رآه أبو نصر . خذ معك عشرين رجلاً يسرون بين
يديك إلى بئداد . فاغتاظ وشمته شتماً قبيحاً . وقال والله لا أرضى
أن يتحدث عني الناس بأني سرت في خفارة أحد غير سيفي .
قال أبو نصر فقلت يا هذا أنا أوجه قوماً من قبلي يسرون
بمسيرك وهم في خفارتك . فقال والله لا فعلت شيئاً من هذا

ثم قال : يا أبا نصر اخرج الطير تخوفني ومن عبيد المصا
نحاف علي ؟ والله لو أن نحررتي هذه لقاها على شاطئ الفرات
وبنو أسد مطشون بخميس وقد نظروا إلى الماء كبطون الحيات
ما جسر لهم خوف ولا ظلف أن يرده . معاذ الله أن أشغل فكركي
بهم لحظة عين . فقلت له : قل إن شاء الله تعالى ، فقال هي كلمة
مقولة لا تدفع مقضياً ، ولا تستجلب آتياً

ثم ركب فكان آخر المهدي . « اه

تقف هنا لتأمل في هذه الرواية المطولة قبل أن تقيدها إلى
رواية أخرى :

يقول الخليليان إنهما كتبا إلى نصر محمد الجبلي ثم يقولان :
« وأبو نصر هذا من وجوه الناس في تلك الناحية » يسر في
الرواية تصريح باسم ناحية ولكن ذكرت ضمناً في نسبة أبي
نصر « الجبلي » . والذي أراه أنها نسبة إلى جبيل وهي بلدة بين
التمانية وواسط على دجلة تبعد عن التمانية خمسة فراسخ إلى
الشرق والجنوب ، وعن دير الماقول ثلاثة عشر فرسخاً . فهذا
الراوي من بلدة تبعد عن مقتل أبي الطيب نحو أحد عشر فرسخاً
وهو صديق للشاعر وقائله . وخلاصة روايته :

١ - أن فانتكان الأسدى خال ضبة العيني الذي هجاه
أبو الطيب كما يكثر السؤال عن الشاعر ليقبله انتقاماً لأخته التي
هجاها . وقد صرح بهذا لأبي نصر

٢ - وأن أبا الطيب نزل على أبي نصر بجبيل فأخبره
ونصحه بالحذر فلم يقبل . واحتقر فانتكا وقومه احتقاراً شديداً
وغلاقاً كلامه غلواً لا يليق برجل عاقل

وفي خزائن الأدب نقلاً عن الايضاح رواية أخرى نصها :
« وأخبرنا أبو الحسن السوسى في دار الوقف بين السورين ،
قال : كنت أتولى الأهواز من قبل الهلبى . وورد عليه التنبي
ونزل عن فرسه ومقوده بيده وفتح عيابه وصناديقه ليل مسها في

قلت له أكرت المسألة من هذا الرجل . فأى شيء تريد منه
إذا لقيته ؟ فقال ما أريد إلا الجليل وعذله على هجاء ضبة . فقلت
له هذا لا يليق بأخلاقك . فتصاحك ثم قال : يا أبا نصر والله إن
اكتحلت عيني به أو جمعتي وإياه بقعة لأسفكن دمه ، ولا يحقن
حياته . قلت له كف عافاك الله عن هذا القول ، وأزل هذا الرأي
من قلبك فإن الرجل شهير الاسم ، بعيد الصيت . ولا يحسن
منك قتله على شعر قاله . وقد هجى الشراء الملوك في الجاهلية
والخلفاء في الاسلام . فاسمنا بشاعر قتل هجائه . وقد قال
الشاعر :

هجوت زهيراً ثم إنى مدحته

وما زالت الأشراف تهجى وتمدح
ولم يبلغ جرمة ما يوجب قتله . فقال يفعل الله ما يشاء
وانصرف

ولم يرض لهذا القول غير ثلاثة أيام حتى وافانى النبي ومعه
بقال موقرة بكل شيء من الذهب والطيب والتجملات النفيسة
والكتب الثينة والآلات . لأنه كان إذا سافر لم يخلف في منزله
درهماً ولا شيئاً يساويه . وكان أكثر إشفاقه على دقاره لأنه كان
قد انتخبها وأحكمها قراءة وتصحيحاً «

قال أبو نصر « فنلقيته وأزلته دارى ، وسألته عن أخباره
وعمن لقي . فعرفني من ذلك ما سررت له وأقبل يصف ابن السميد
وعلمه وكرمه وكرم عضد الدولة ورغبته في الأدب ومبيله إلى أهله
فلما أسينا قلت يا أبا الطيب على أى شيء أنت مجمع ؟ قال
على أن آخذ الليل سكباً فإن النير فيه يخف على . فقلت هذا
هو الصواب رجاء أن يخفيه الليل ولا يصبح إلا وقد قطع بلداً
بيداً . وقلت له والرأى أن يكون معك من رجالة هذه البلدة
الذين يعرفون هذه المواضع الخيفة جماعة يمضون بين يديك إلى
بئداد . فقطب وجهه وقال لم قلت هذا القول ؟ فقلت لتستأنس
بهم ، فقال أما والجرار في عنق فإني حاجة إلى مؤنس غيره . قلت
الأمر إليك ، والرأى في الذي أشرت عليك . فقال تلومحك بنبي عن
تعريض ، وتعريضك بنبي عن تصريح . فعرفني الأمر وبين لي
الخطب . قلت إن الجاهل فانتكا الأسدى كان عندي منذ ثلاثة
أيام وهو غير راض عنك لأنك هجوت ابن أخته ضبة . وقد
نكلم بأشياء توجب الاحترار والتيقظ ، ومعه أيضاً نحو المشيرين

- ٢ -

سار أبو الطيب من الاهواز إلى واسط فزل بها ، قال علي ابن حمزة البصرى عن القصيدة الكافية التى ودع بها الشاعر عضد الدولة : « هذه القصيدة آخر شعر قاله أبو الطيب . وكتبها والتى قبلها عنه بواسطة يوم السبت لثلاث عشرة بقية من شهر رمضان سنة أربع وخمسين وثمانمائة » (١)

بين واسط وبنداد زهاء أربعين فرسخاً ، وعلى الطريق بلاد تذكر منها ما ذكر فى روايات مقتل أبي الطيب . وهى النمانية ودير قنّى ودير العاقول والصابية

الثمانية فى نصف الطريق بين واسط وبنداد غربى دجلة وهى قائمة اليوم . وكانت تسمى بقبيلة فأعيد اسمها القديم . ودير العاقول كان على شاطئ دجلة الشرق ، وكان عنده مدينة مسماة باسمه ، وكان على ميل من النهر أيام ياقوت . وبينه وبين بنداد ١٥ فرسخاً ، وبينه وبين النمانية زهاء خمسة فراسخ

وإلى الجنوب الشرق من دير العاقول على مقربة منه دير مرمارى الذى يسمى دير قنّى أو (قننه) وهو على ١٦ فرسخاً من بنداد يبعد على الشاطئ قليلاً

وأمام دير قنّى على الشاطئ الصافية على فرسخين إلى الجنوب والشرق من دير العاقول . وكانت على ميل من الشاطئ فى زمن ياقوت .

وعلى نحو ثمانين كيلاً من بنداد إلى الجنوب والشرق توجد اليوم أرض تسمى أرض الدير . ذهبت إليها يوم الجمعة الثانى والعشرين من ربيع الأول سنة خمس وخمسين وثمانمائة (٢) . فإذا تلال كثيرة متقاربة قليلة الارتفاع عليها حطام من الآجر والخزف تبعد عن شاطئ دجلة الشرق نحو كيل واحد

وقد سألت أعزاباً نازحين هناك من قبيلة شمر عن أرض أخرى تسمى أرض الدير فى هذه الناحية فذنوا هذا . وسألت عن أسماء العاقول وقنّى والصابية ، أتصرف اليوم هى أو ما يقرب منها ؟ فذنوا جازمين

وإذا نظرنا إلى المسافة بين هذه الأرض وبنداد فهى تقارب خمسة عشر فرسخاً . وهى المسافة القادرة بين بنداد ودير العاقول فى معجم البلدان وغيره

الطريق وصارت الأرض كأنها مطارف منشورة . فحضرتة أنا وقلت قد أمت للشيخ زلاً . فقال التنبى ان كان ثم فهاته . ثم جاء فأتك الأسدى يجمع وقال قدم الشيخ هذه الديار وشرفها بشعره والطريق بينه وبين دير قننه موحش قد احتوشته الصالحك ، وبنو أسد يسرون فى خدمته الى أن يقطع هذه المسافة ، ويبرّ كل واحد منهم بثوب يياض . فقال التنبى ما أبى الله يدي هذا الأدم وذباب الجراز الذى أنا متقلده فانى لا أفكر فى غلوق . فقام فأتك ونفض ثوبه من رتوت الأعراب الذين يشربون دماء الحجيج حسوا سبعين رجلاً ورسدوا له . فلما توسط التنبى الطريق خرجوا عليه ، الخ »

هذه الرواية تؤيد الأهل ، فى أن أبا الطيب أبى أن يسير فى خفارة أحد ، وتخالفاً فى أن فأتك هو الذى عرس على الشاعر أن يخفروه . ومعنى هذا أنه ما كان مبيتاً شرأله وأنه لو قبلت خفارته ما قتله . وفى الرواية مطاعن :

فقول : أبى الحسن السوسى : « كنت أتولى الاهواز من جبل المهلبى الخ » . يؤخذ منه أن مرور أبى الطيب بالاهواز كان فى عهد المهلبى ، والمهلبى توفى سنة ٣٥٢ كما تقدم

ولو أن فأتك لقي أبى الطيب فى الاهواز فمرض عليه خفارته فأبى فمزم على قتله أو سلبه ما صبر عليه حتى قطع المسافة من الاهواز إلى واسط وهى خمسون فرسخاً ، ثم سار من واسط حتى جاوز النمانية ، كما سياتى ، وذلك أكثر من عشرين فرسخاً . وقول فأتك إن الطريق إلى ديرقنة موحش بيد أن يقال فى الاهواز وبينها وبين ديرقنة مراحل كثيرة وبلدان عامرة ، وإنما يقال مثل هذا فى موضع قريب من ديرقنة النمانية أو جبل . ثم عرض فأتك خفارته على أبى الطيب وفى نفسه منه ما فيها مستبهد كذلك

فرواية أبى نصر أجدر بالقبول بمد حساب البالغة فيها كقول أبى الطيب عن بنى أسد « ابخره الطير تخوفنى الخ . » فالرجل مهما تكبر وتهور كان أعقل من أن يقول مثل هذا القول : وأحسب أبى نصر حينما سئل عن مقتل أبى الطيب أراد أن يبين من نصيبه فى هذه القصة التى يتشرف الناس إلى سماعها فأدخل فيها شيئاً من الصنعة ، وبالغة القصاص ، وبالغ فى نصحه أبى الطيب وفى إياه هذا قبول النصيحة وهكذا

هو يقول « حيال الصافية من الجانب الغربي » فيمكن أن يقال إن مقتل الشاعر في الجانب الغربي حيال الصافية على الضفة الشرقية - وكلمة حيال هذه صحت في بعض الروايات إلى حبال وليس عند الصافية حبال

يمكن قبول رواية ابن الأنباري بهذا التفسير لو لم نعرف الطريق بين واسط وبنداد أتسير الضفة الشرقية أم الغربية من دجلة ، ولكنتا نعرف من كتب المسالك أن الطريق شرقي دجلة . وقد عرفنا أنه من جبل وليس لنا أن نفرض أنه سار شرق النهر من واسط إلى جبل حيث نزل على ابن نصر ثم عبر إلى النعمانية ليبر إلى الشرق مرة أخرى

وخلاصة هذه الكلمة أن جمع هذه الروايات ونقدها وتعرف مواقع البلاد التي ذكرت في الروايات والطريق بين واسط ودار الخلافة . كل أولئك بين لنا أن مقتل أبي الطيب كان عند الصافية شرق نهر دجلة على نحو ستة عشر فرسخاً من بنداد

— ٤ —

سار أبو الطيب من واسط يؤم بنداد في طريقه إلى الكوفة وكان مسيره يوم السبت سابع عشر رمضان . وفي هذا اليوم كتب عنه علي بن حمزة البصري راويته القصيدتين الأخيرتين من شعره كما تقدم

وبلغ جبل بعد أن سار زهاء سبعة عشر فرسخاً فنزل عند أبي نصر الجبلي كما تقدم . ثم أخذ طريقه حتى حاذى النعمانية وهي في نصف الطريق بين واسط وبنداد ثم سار فرجوجرايا على أربعة فراسخ إلى الجنوب والشرق من دير الماقول ثم تقدم حتى قارب الصافية وبينه وبين بنداد ستة عشر فرسخاً

وهناك خرج عليه فاتك بن أبي جهل الأسدي خال ضبة ابن يزيد الذي هجاه أبو الطيب . وكان فاتك في نيف وثلاثين فارساً راحمين وناشين^(١) وكان مع أبي الطيب ابنه محمد وغلماؤه الذين وصفهم في القصيدة الميمية التي رثى فيها فاتكا وفي قصيدة توديع ابن العميد كما تقدم

ولا ننرى كم كان غلماؤه ولكنهم كانوا ولا ريب أقل عدداً

من عدوم

(١) نسخة بنداد وفي الخزانة سبعين رجلاً

وسهما يكن فأكبر الظن أن هذه التلال بقايا دير قتي أو دير الماقول . وكانا متقاربين ، وهذا يدل على أن دجلة لم تغير مجراها كثيراً في هذه الناحية وأما الصافية فأحسب موضعها الآن في مجرى النهر ، فقد كانت أيام ياقوت على ميل من دير قتي ، ويؤيد هذا قول صاحب مرصد الاطلاع عن الصافية ، « وقيل موضع دجلة »

— ٣ —

الروايات في مقتل أبي الطيب متفقة في جملتها ، ولكن بعضها أبين وأكثر تحديداً من بعض ، وهي في التحديد قسمان : ١ - روايات تجمل مقتله قرب النعمانية أو قرب دير الماقول دون ذكر الموضع الذي قتل به^(١)

٢ - روايات تذكر الصافية على أنها موضع القتل أو قرية منه وهي على مقربة من دير الماقول ، بينه وبين النعمانية ، فليست تناقض الروايات الأولى ، بل تزيد عليها تحديداً^(٢)

٣ - رواية ابن خلكان التي تحاول الجمع بين الروايات فتقول : « بالقرب من النعمانية في موضع يقال له الصافية من الجانب الغربي من سواد بنداد عند دير الماقول بينهما مسافة ميلين » وحتى أن الصافية قرية من دير الماقول ولكنها ليست قرية من النعمانية إلا قريباً نسبياً

٤ - رواية ابن جنى ونسخة بنداد ونسخة في الموصل^(٣) تذكر مكاناً محرفاً مضطرباً بين فرع ونيزع وشرع . ولم أجد لها ذكراً في الكتب .

يستطيع الباحث بعد هذا أن يقول إن أبا الطيب قتل على مقربة من الصافية ، ولكن ابن خلكان وابن الأنباري يقولان : « من الجانب الغربي من سواد بنداد » والصافية على الشاطئ الشرقي ، فكيف هذا ؟

رواية ابن خلكان متناقضة بلاريب ، فهو يقول في موضع يقال له « الصافية من الجانب الغربي » وهذا خطأ ، وأحسبه اتبع ابن الأنباري فالبارتان متقاربتان . فهل عبارة ابن الأنباري مقبولة ؟

(١) انظر رواية أبي نصر الجبلي في الصباح ، ورواية الخطيب البغدادي

(٢) ابن الأنباري ونسخة الأوقاف والمرى

(٣) مكتبة عبيد بن جابر الجبلي

نظام الطلاق في الاسلام

[بغية القائل المنشور في العدد السابق]

للأستاذ أحمد محمد شاكر

بالطلاق؛ وكذلك الرجعة، هي إعادة للعقد الذي نسخه الرجل وحده بما جعل الله له من الحق في ذلك، وهي إما يملك الرجل الانفرد بها - دون الطرف الثاني من العقد - بما أذن الله له فيها، ولو لم يأذن الله بالطلاق وبالرجعة للرجل، لم يكن له أن يفرد بواحد منهما من غير رضا الطرف الآخر في العقد وقد أذن الله في شريسته للرجل بالاستقلال بإيقاع الطلاق، وبالانفراد برد المطلقة إلى عصمته، بصفات معينة، وفي أوقات خاصة، فتكون كلها شروطاً في صحة ما يفعله المطلق حين طلاقه، والمراجع حين رجعته. فإذا تجاوز الصفات التي رُسمت له فيها، أو الأوقات التي أُقتتت له، كان عمله باطلاً، لأنه خرج عن الحد الذي ملك فيه الانفرد بالتصرف بالأذن من الشارع الحكيم

ولذلك قلنا ييطان الطلاق لغبر المدة، وييطان الطلاق من غير إتهاد، وييطان سائر أنواع الطلاق الذي يسمى (الطلاق البدعي). وقلنا أيضاً ييطان الرجعة من غير إتهاد، وييطانها إذا قصد بها المضارة ولم يقصد بها الإصلاح، كما قال الفقهاء جميعاً ييطان الرجعة إذا كانت بعد انقضاء المدة، وييطانها إذا كانت بعد الطلقة الثالثة وهكذا

وهذا المعنى قد أوضحته مراراً في كتاب (نظام الطلاق في الاسلام)، فما قلته (ص ٦٠ - ٦٣):

« وليس المقصود من الطلاق اللبب والهو، حتى يزهم الرجل نفسه أنه يملك الطلاق كما شاء، وكيف شاء، ووتى شاء؛ وأنه إن شاء أبان المرأة بئنة، وإن شاء جعلها معتدة يملك عليها الرجعة »

« كلا، ثم كلا، بل هو تشريع منظم دقيق من كدُن حكيم عليم، شرعه الله لعباده ترفيهاً لهم، ورحمة بهم، وعلاجاً شافياً لما يكون في الأسرة بين الزوجين من شقاق وخرار، ورسَم قواعد، وحدد حدوده يميزان المدالة الصحيحة التامة ونهى عن تجاوزها، وتوعد على ذلك. ولهذا تجرد في آيات الطلاق تكراراً ذكر حدود الله، والنهي عن تمديها وعن المضارة: (تلك حدود الله فلا تمتدوها. ومن يمتد حدود الله فأولئك هم الظالمون). (وتلك حدود الله بينها لقوم يعلمون). (ولا

هذا من الدليل على وجوب الإتهاد في الطلاق وفي الرجعة، وأما الدليل على أنه شرط في صحتها، وأن من طلق أو راجع بغير إتهاد فقد بطل طلاقه وبطلت رجعته، ولم يصح واحد منهما - فإن الطلاق عمل استثنائي صرف، يخالف القواعد العامة في العقود والنسوخ، وكذلك الرجعة، لأن كلا منهما تصرف في عقد بين اثنين، يقوم به أحد طرفي العقد وحده، وهو الرجل من غير اختيار أو مشاركة له فيه من الطرف الآخر، وهو المرأة، أُذنَ بهما الشارع الحكيم، في حدود معينة، وبنظام خاص، وليسا مما يملكه الرجل وحده بطبيعة التماقد، لأن الزواج عقد كسائر العقود، لا يملك أحد طرفي العقد التصرف فيه بالإنهاء أو الإسهاء وحده، لولا ما أُذن به الله للرجل من حق الانفرد

قاتل الشاعر الشجاع حتى قتل . وقتل ابنه . وأكثر الروايات تخص من بين غلمان غلامه مفلحاً . وفي الخزانة أنهم قتلوا كل من كان معه . وما أحسب الملمان ثبتوا كلهم بمد قتل سيدم . وفي رواية الخزانة أيضاً « وحمل فانتك على التنبى وطنه في يساره ونكسه عن فرسه . وكان ابنه أفلت إلا أنه رجوع يطلب دفار أبيه فقتن خلفه الفرس أحدم وحز رأسه »

« قال أبو نصر : ولما صح خبر قتله وجهت من دفنه ودفن ابنه وغلمانه وذهبت دماؤهم هدرأ »
ردى حياض الردى يا نفس واتركي

حياض خوف الردى للشاه والنعم
ان لم أذكرك على الأرماع سائلة

فلا دعيت ابن أم المجد والكرم

هب الرهاب عزام

تسكوهن ضراراً لثمتدوا ، ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ، ولا تتخذوا آيات الله هزواً (واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه) «

« وهو تشريع تقطعت دونه أعناق الأمم قبل الاسلام ويمده ، وهانت ذا ترى الأمم المظيمة التي تزعم لنفسها المدنية ويزعمها لها الناس — : تحاول إصلاح نظام الأسرة ، وتشريع القوانين لديها للطلاق ، فلا تصل إلى شيء معقول ، بل هي تتخبط في الظلمات ، وتأتي بالبلايا والمضحكات ، وذلك أنها تصدر في تشريعها عن العقل الانساني القاصر . أما التشريع الاسلامي فانه وحى إلهي كريم ، أرسل به أعظم رجل وأعقل رجل ظهر في هذا الوجود ، وأمره أن يفسره للناس ويبينه لهم ، ثم يحملهم على طاعته والعمل به »

« وإنما المقصود من الطلاق في هذه الشريعة النقية الواضحة الكاملة : أن بين الزوجين عقداً — كسائر العقود — على المباشرة والمعايشة بالمعروف ، فإن ما فملاً تحقق المقصد الصحيح من الزواج وطاب عيشهما ، وإن ما تباعضاً وتنافراً وخافاً أليقياً حدود الله ورغباً في الفراق ، فهما كثيرهما من كل متماقدين : لهما أن يتفقا على الانفصال في مقابل عوض من المرأة للرجل ، كما تماقدا في أصل النكاح في مقابل الصداق من الرجل للمرأة . وبذلك جاء نص القرآن الكريم : (فان خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به) فشرع لهما الخلع والبارأة ، وكانت المرأة به بائناً تملك أمر نفسها ، وليس للرجل عليها حق المراجعة إلا بمقد جديد واتفاق آخر ؛ ولم يكن عليه للمرأة حقوق أخرى من حقوق العقد ، كالصداق والنفقة وغيرها ، إلا أن يتشارطا على شيء : فالملون عند شروطهم »

« واختار الله لعباده — لحكمة سامية — أن يستثنى النكاح من القاعدة العامة في فسخ العقود ، فأباح للرجل أن ينفرد بفسخ هذا العقد بإرادته وحده ، بشرائط خاصة ونظام واضح^(١) ،

(١) قلنا في حاشية (س ١٥) من الكتاب : يظن أكثر الباحثين أن الطلاق الرجعي ليس حلالاً لعقد النكاح ، وأن الرجعية لا تزال زوجياً ، لأن آثار العقد باقية بينهما ، وهووم ، بل الطلاق يزول عقد النكاح ، سواء الرجعي وغيره . وعمل ابن حجر في الفتح (ج ٩ ص ١٢٦) عن ابن السمان قال : « الحق أن القياس يفرض أن الطلاق إذا وقع زال النكاح ، كالنكاح ، لكن الصريح أثبت الرجعية في النكاح دون النكاح ، فانظرنا »

ورتب لكل من التماقدين حقواً قبيل صاحبه ، لا يجوز لأحدهما أن يهرب منها . فن وقف عند حدود الله وفسخ عقد النكاح الذي بينه وبين زوجته في دائرة الحدود التي حد الله له ، كان قد استعمل حقاً بملكه بتملك الله إياه ، وجاز عمله ، وترتبت عليه آثاره . ومن تجاوز حدود الله ، واجترأ على حل عقد النكاح على غير النهج المرسوم له ، كان عابثاً ، وكان عمله باطلاً لنواً ، كما إذا انفرد أحد التماقدين بالبناء عقد البيع أو عقد الرهن مثلاً ، فإن عمله لاغٍ لا أثر له في العقد . فكذلك المطلق في غير الحد ، والله أذن فيها »

وقلت أيضاً (ص ٧١) : « إذن ، فقد منح الله الرجل حق الانفرد بالطلاق ، وهو حل لعقد النكاح : بين الزوجين عقد كسائر العقود ، وهو عقد الزواج ، فإذا أراد أن يطلق بمحض إرادته وحده ، فإن يملك من ذلك إلا أن يتبع أمر ربه الذي شرع له هذا الحق وأذنه به »

فهذا التفسير لمعنى الطلاق ولمعنى الرجعة هو العاين كل المطابقة لنصوص القرآن الكريم ، ولقاصد الشارع الحكيم ، ولقواعد العقل السليم ، وللقه الصحيح في الدين . وليس من المعقول أن تترك هذه الشريعة الدقيقة — شريعة الطلاق والرجعة — لأهواء الناس وآرائهم والأعيهم في الألفاظ . إنما هي مقاصد سامية ، تتعلق بأدق الشؤون الاجتماعية وأشدها خطراً في حياة الانسان وأشرف الروابط بين الناس وأعلها وأنفها للنوع الانساني ، وهي رابطة الحياة الزوجية . (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها ، وجعل بينكم مودةً ورحمةً ، إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون)

فلم يكن الطلاق — في الشريعة الاسلامية — حقاً مطلقاً للرجل من غير قيد ، كما يفهم ذلك أكثر الناس ، بل عامتهم ، وإنما هو مقيد بقيود كثيرة ، بعضها قيود في نفس إنشائه وإيقاعه ، وهي شروط في صحته عندى وفي رأى ، وبعضها قيود تتعلق بحال المطلق وظروف طلاقه ، وهي تعليم من الشارع وتأديب ، لأنها ترجع إلى أمور نفسية وأحوال دقيقة في المعاشة والمعايشة ، لا تدخل تحت القواعد القضائية التي تكاد تكون مادية ، فجعل الرجل فيها أميناً نفسه ، ورقياً على أعماله ، أو جعلت تحت رقابة ضميره — كما جبر الكتاب من أهل هذا العصر —

فلا يملك منها إلا ما أُذِنَ به . والشأن هنا في الرجمة أقوى ، لأن الله سبحانه يجعل الرجل أحقَّ بها بشرط صريح ، وهو ارادة الاصلاح ، فاذا تخلف الشرط لم يكن الرجل أحقَّ بردها ، فصار لا يملك هذا الحق »

وهذا الذي اخترناه وذهبنا اليه لا يناق ما ذكره أستاذنا شيخ الشريعة « مما هو أدق وأحق بالاعتبار ، من حيث الحكمة الشرعية ، والفلسفة الاسلامية ، وشموخ مقامها ، وبُند نظرها في أحكامها » ، لأن القيود التي قيد بها حق الطلاق أوثق وأقوى مما اشترط في صحة الرجمة ، « على القاعدة المعروفة من أن الشيء اذا كثرت قيوده ، عَزَّ أو قَلَّ وجوده »

وما اشترط في صحة الرجمة إنما اشترط ضماناً لبقاء الحياة الزوجية صحيحة سالمة من إرادة البث بها ، وبُعداً بها عن مواطن الشهات ، وعن الاضرار بالمرأة عن إرادة التكلول والجمد لاضاعة حقها

ولست أظن أني بحاجة إلى بيان وجه « الحكمة الشرعية والفلسفة الاسلامية » في اشتراط إرادة الاصلاح في صحتها ، إذ هو واضح بالبداية ، وصريح من نص الكتاب الكريم وأما اشتراط الاشهاد فانه ليس قيداً يفوت به مقصد الشارع في تقليل وقوع الطلاق والفرقة ، وفي ارادة التمجيل بالرجمة ، وإنما هو شرط يقيد في ضمان ثباتها وبقائها ، وفي حفظ عزة المرأة وكرامتها

فالرجل حين يطلق يُشهد على طلاقه ، وهو اعلان له واثبات ، ثم يذهب فيراجع سرّاً من غير حضرة الشاهدين ؛ ولله قد يبدو له أن يندم على رجيمته ، أو يرى له فائدة مادية حقيرة في انكار ما فعله وجسده ، وتمجز المرأة عن اثبات حقها واثبات إجرامه ، ولا ترى لها شاهداً ولا دليلاً ؛ وقد يفعل ذلك ورتبته إذا مات قبل إعلان رجيمته ، فيضيع في الحالين حقها ، وتهدر كرامتها ، ويُعس عرضها ، وهي عاجزة في أول أمرها وآخره . ولورأى الأستاذ - حفظه الله - ما ترى في مجالس القضاء من ألابيب الناس وحيلهم ، وإقدامهم على إضاعة الحقوق ، وحرصهم على أكل أموالهم بينهم بالباطل ، وجراتهم على تمدى حدود الله ، لعل أن هذه الشروط ليست قيوداً يعزُّ معها وجود الرجمة أو يقلُّ ، ولا يستيقن أنها تطابق الحكمة الشرعية ،

فان اتبع في ذلك أوامر الله في كتابه وفي سنة رسوله ووقف عند حدود الله : كان طلاقه صحيحاً ، وبرى من إثم المدوان في الطلاق ، وإن لم يتبع ما أمر به ، ولم يجعل طلاقه في الحدود التي حدث لانثائه وإيقاعه ، فكأنه لم يعمل شيئاً ولم وقع طلاقاً ، وإنما كسب خطيئة وإنما بمخالفة أمر ربه

وإن جعل طلاقه في الحدود التي حدث للانثاء والايقاع ولكنه تجاوز في القيود الأخرى التي تتعلق بحاله وظروف طلاقه كان طلاقه واقعاً ، ولكنه كان آثماً بمخالفته وعدوانه ، لأن هذه الشؤون ليست مما يدخل تحت سلطان الحاكم وتقدير القاضي ، وإنما يحاسب عليها بين يدي ربه يوم القيامة

لأن الشريعة الاسلامية يمتزج فيها - دائماً - التشريع القانوني القضائي بالشؤون الدينية النفسية والخلقية التهذيبية ، وتجمع في أحكامها بين الوجوب أو الإباحة أو الندب أو الكراهة أو الحلل أو الحرمة : وبين الصحة أو البطلان أو الفساد ، وهكذا فهي شريعة ودين معاً

وكذلك الرجمة : ليست من حقوق الرجل باطلاق من غير قيد ، بل هي مقيدة بقيود كالطلاق ، ولكنها أقل قيوداً منه ، تيسيراً من الشارع الحكيم ، وترغيباً في وصل ما انقطع من علائق الزوجية

فمن قيودها ما هو راجع لأصل إيقاع الفعل وإنثائه ، فيكون شرطاً في صحته ، وكالما منصوص عليه في القرآن نصاً : فمن ذلك ما اعق عليه أهل العلم ولم ينقل فيه خلاف عن أحد منهم ، وهو أن تكون الطالفة مدخولاً بها ، وألا يكون ذلك بعد الطلقة الثالثة ، وأن تكون الرجمة وهي في عذة المطلق ومن ذلك ما اختلف فيه ، واخترنا أنه شرط في صحة الخلع أيضاً ونصرنا القول به ، وهو أن تكون الرجمة بأشهاد شاهدين على ما بينا آنفاً ، (وأشهدوا ذوى عدل منكم) وأن يريد برجمتها إصلاح ما أفسد الطلاق ، وإصلاح حاله وحالها (وبمولتهن أحقُّ بردهن في ذلك إن أرادوا إصلاحاً) لا يقصد بها الاضرار والمدوان (ولا تمسكوهن ضرراً لتمدوا)

وقد بينا ذلك في كتابنا موضح (ص ١٢١ - ١٢٤) ومما قلنا هناك : « إن الطلاق والرجمة بإرادة الرجل وحده عملاق مستثنيان من القواعد العامة ، أذنه الله بهما بصفات خاصة

٢ - دانتى أليجييرى

والكوميديا الالهية

وأبو العلاء المعرى ورسالة الغفران

أبا العلاء بلغة العصر الذى كانت تهدر فيه اللماة مجرد الربة
تحموم حول الرجل فى دينه ، فاضطر أن يلغز هذا اللغز الذى
لا يجوز مظهره على ذكاه أبى العلاء ...

وزيد اليوم أن نعرف السبب الذى حدا بدانتى إلى كتابة
كوميديته ؛ فلا ترى بأساً من أن نضع بين يدي القارى ترجمة
سريعة لهذا الرجل الذى كان يعيش ملء عصره ، ويسام بقلبه
وعقله ويده فى شؤون إيطاليا عامة وفلورنسا خاصة

ولد دانتى فى مايو ١٢٦٥ ، أى بعد أن وضعت الحرب
الصليبية أوزارها (١٠٩٦ - ١٢٤٤) ^(١) . وفى زمان كان فيه
اختلاط الشرق بالغرب شاملاً كل شىء ولا سيما الثقافة ، وكان
الغرب يرشف من مدينة الشرق ما يشاء عن طريق الشام ومصر
وصقلية وتونس والأندلس . واختلف المؤرخون فى منشأ أسرة
دانتى ... فبعضهم يقول إنها من رومه ، وبعضهم يقول إنها من
فرارا ، والبعض يقول إنها من بارما ، أو من فيرونا ؛ على أنهم
متفقون على أن الفتى نشأ فى فلورنسا وبها ولد ، وأنه تنقف على
أشهر علمائها فى ذلك الزمن (بروتسولانتينى)

وقد كان أبوه أليجييرو رجلاً قسيراً من وسط برجوازي
مكروه من الحزب الديمقراطى ، وقد ماتت أمه موتاً بالاً
Monna Bella بعد أن وضعت زمن قصير . وفى التاسعة من عمره
رأى فتاته وحييته بياتريس ، فنفتت فى قلبه السحر ، وحلت
عن لسانه عقدة الشعر ، وجعلت حياته درامة رومانتيكية بارعة
من الحب الأنفلاطونى الحزين ... وترعرع دانتى ... ونظم
الشعر فى بياتريس ...

وفى الثامنة عشرة ، نظم أول غزير قصائده يطلب فيها تفسير
حلم جميل « من كل مغرم دلف ، يرح به الحب ، ولقح قلبه
بارح الهوى ... » وكانت قصيدة رائمة لقتت إلى الشاعر الشاب
نظر كبير شعراء إيطاليا إذ ذاك جيدو كفالكانتى ، فكانت
عربون الصداقة بينهما ، ورضى المحبة والوفاء

واشترك الشاعر الفتى فى حملات حرية سخيقة ، وحضر
معركة كبلدينو سنة ١٢٨٩ ... ثم انتمس فى النضال الحزبى الذى
كان يجرف فلورنسا وإيطاليا فى ذلك العهد ، وكان ناشياً بين
(١) مكنا بعدها مؤرخو الأفرنج ، وإن تكن قد امتدت إلى أجد

من ذلك

عرفنا من الكلمة السالفة أن أبا العلاء كتب رسالته يرد
بها على ابن القارح وهو طرب أياً طرب لأنه وجد فيه ... عتقاء
والخل الوفى ؛ وعرفنا أن ابن القارح لم يكن يقل زندقة وإلحاداً
عن أبى العلاء لأنه استهزأ بالأرار الأطهار الذين ورد ذكرهم فى
سورة الدهر ، ولأنه عاب عليهم خوفهم يوماً كان شره
مستطيراً ... يوماً عبوساً قطريراً ... ولو كانوا مثله ... مثل
ابن القارح ... لما نذروا ، ولما وفوا ... ولما خافوا شر
ذلك اليوم

وعرفنا كذلك أن ابن القارح لم يكن صادقاً حقاً فى (تنزيهه
على هؤلاء الزنادقة واللحدن) الذين حشدم وجمع أقوالهم فى
رسالته من غير ما مقتض لحالهما ... اللهم إلا أنه كان يخاطب

والفلسفة الاسلامية ، وتدل على شموخ مقامها ، وبمد نظرها
فى أحكامها

وبعد : فأتى أرسل تيمى إلى أستاذى الجليل على صفحات
(الرسالة) الفراء ، مجدداً ذكرى صداقة لم تردها الأيام إلا ثباتاً
وقوة ، مذ كان الأستاذ حفظه الله فى مصر ، من نحو خمس
وعشرين سنة ، وكنا نقبس من بحار علمه ، ونقتدى به فى مكارم
أخلاقه ، وكنت له كالتلميذ الخالص ، أأزمه فى غدوانه وروحانه .
بارك الله فيه ، ونفع به الاسلام والسلمين

وأقرباً : أدهو المتفقين منه السلمين ، وقادتهم من
علماء الدين ، لينظروا فى مسائل الزواج ومشاكله ، وهى
همزة متوافرة ، لا بالنظر التقليدى القديم ، ولا بالنظر
الافرنجى الحديث ، ولكنم بالنظر الالوسوسى الصحيح

أحمد محمد تاشكر
القاضى الشرمى

الشالية فيقابل بالترحاب من الجميع ، وكان الجميع يكرمونه وفادته ولا سيما كين د'لا سكاللا أمير فيرونا الذي لبث دانتي في ضيافته حتى عام ١٢٢٠ ، ثم ارتحل إلى جيدو نوفللو دابولنتا عظيم رافنا ومن ثم ذهب إلى البندقية في بحث سياسي ... ولكن البندقيين استخفوا به فأثر ذلك في نفسه حتى قيل إنه حم ، فساد أدرجه والمرض يفتك به ... ولقي حتفه عقب ذلك بزمن قصير

وفيما بين سنة ١٣٠٦ ، ١٣٠٨ ألف دانتي كتابه الفلسفي (الوليمة) Donvivio أو Convito وقد حاول فيه تبسيط الآراء والنظريات الفلسفية لتسيبها أفهام العامة ، وهو في رأينا أقل قيمة من اثيتانوفيا . وإن يكن دانتي نفسه قد فضله على اثيتانوفيا

ويقولون إنه ألف قبل ذلك (١٣٠٤) كتابه المجيب (في فصاحة اللغة المامية) Eloquentia^(١) De Vulgari الذي حاول فيه خلق لغة قومية للإيطاليين يكتبون بها ويؤلفون فيها كتبهم بدل اللغة اللاتينية التي كانت مستعملة في ذلك الوقت

وفي سنة ١٣٠٩ ألف كتابه De-Monarchia وفيه يتغنى بالامبراطورية الرومانية القديمة ويحز هم الإيطاليين لاحتياها (لأنها نظام فرضه الله على البشر ، وهي وحدها التي تأخذ بأيدي الناس إلى السلام والنظام والمدالة ، وهي سلسلة متصلة في التاريخ لا انقسام لها ...) وتلك نعمة عرف بها دانتي ، انتقلت بجزرها وبجرها إلى زعيم إيطاليا الحديثة

ويرجح مؤرخو دانتي أنه كتب الكوميديا الآلهية إذ هو ضيف كريم على أمير فيرونا ثم أعمها في رافنا قبيل وفاته في سبتمبر سنة ١٣٢١

وهاك ما اختتم به اثيتانوفيا بصدد الكوميديا الآلهية :
« ... أبتهل إلى الله القدير أن يمد في أجلي - إذا شاء -
كي أكتب في ملاكي مالم يكتبه أحد في امرأة من قبل ...
حينئذ ... كم تكون روى سميدة حين تسبح في ملكوته
الأعلى لتزود نظرة من ... ياتريس ! »

وقد مد الله في أجله فعلاً ، وكتب في ملاكه مالم يكتبه أحد في امرأة من قبل ، وذهب في إثر رائده فرجيل يخوض دركات جهنم ، ويوقل في شفاف المطهر ، ليلقي ياتريس في ظلال الخلد . ونعيم لا يفتي

حزبين قويين مايلت أحدهما أن ينتصر حتى تكون للآخر الكرة عليه ؛ وكان دانتي في جانب الجلفيين . وحدث أن كان في بعثة سياسية لدى البابا حين انقض الجلفيون - الحزب الآخر - على المدينة وانزعوا مقاليد الحكم من الجلفيين ، وقضوا على دانتي بالنفي المؤبد ، وبإعدام حرقاً إذا فكر في الرجوع إلى فلورنسا وكانت ياتريس قد ماتت قبل ذلك ، وكان الشاعر قد قد صداقة جيدو كفالكانتي من جراء الحزازات الحزبية التي كثيراً ما قضت على روابط وأواصر وصداقات ... وكان قد تزوج كذلك وإن لم يسأل ياتريس - التي كانت قد تزوجت من غيره - من الفتاة جيادوناتي لـGamma Donati التي كانت تنتمي إلى حزب الجلفيين ... فكانت حياته معها سلسلة متلاحقة من الآلام للدوجة أنها رفضت أن تلحق به في منفاه وحرمته بذلك حتى من النظر إلى أبنائه ... ومن أجل ذلك لم يتورع دانتي من الاشادة بذكرى حبيبته ياتريس في كتابه (الحياة الجديدة) Vita Nuova ومن الوعد في آخر هذا الكتاب بتأليف معجزته الخالدة (الكوميديا الآلهية) في تخليد ذكرى ياتريس . بل هو لم يتورع كذلك من أن يدس جادوناتي في أشد دركات جهنمه في هذه الكوميديا ... كما سيحيى ذكره

وقد طوّف دانتي في أنحاء إيطاليا ، وذاق في منفاه مرارة العيش وشقوة التشرد ، وجاب الرحب فزار باريس ، ويقال إنه ارتحل إلى إنجلترا وألقى عماء في أكسفورد . ولعل حظ الأدب من مرارة ذلك العيش ، وشقوة ذلك التشرد كان عظيماً جداً ، فقد قسم لدانتي أن يبر بوعده بتأليف الكوميديا إذ هو مشرد في الآفاق ، طريد من فلورنسا ، بعيد عن أحزابها ، بنجوة من قلق السياسة واضطراب السياسيين . ففي سنة ١٣٠٠ ألف كتابه الجميل (الحياة الجديدة)^(١) أو اثيتانوفيا الذي يصف به خلجات قلبه وضمته ترجمة طلبة حياته وصلته بالفتاة ياتريس هوريتيناري وجمع فيه كل الأسماء التي تنزل فيها بحبيته . والكتاب رائع حقاً ، ويصبره المؤرخون أول كتاب من نوعه في فجر النهضة وآخر ومضة من الأمل في المصور الوسطى ولقد كان دانتي يحمل ضيقاً على أمراء الولايات الإيطالية

(١) في بعض المصادر أنه ألته بين سنتي ١٢٩٢ - ١٢٩٤ وأنه تزوج من جاسنة ١٢٩٦ ولما كان قد أنزل منها سبعة أطفال ليكون الخريج المذكور هو الأصح

مجموع راتى

(١) رأى دانتى كأنه يضرب على غير هدى في تيه لا أول له ولا آخر ، ثم رآه بضل طريقه في غابة مظلمة تتج بالأنعام وتضج بالوحوش ، حتى إذا بلغ طوداً رفيع الذرى وحاول أن يرقاه زارت في وجهه أسود وهممت حوله ذؤبان أوشكت أن تفتك به ، لولا أن أبصر فرأى الشاعر الرومانى الخالد فرجيل يقترب منه فينقذه من الكواسر المكدقة به ، ثم يذكر له أنه قادم من لندن حبيته بياريس ليهديه سواء السبيل ، وليخوض به دركات الجحيم ليريه من آيات ربه ، ثم ينفذه الى جبال الطهر ... وليتركه عند باب الفردوس ، حيث تلقاه حبيته ، فتمضى به الى جنات النعيم « لأنى غير مأذون لى بدخولها »

(٢) ويتلصق دانتى قليلاً ، ولكن فرجيل ما يزال به يفريه حتى يتبعه (٣) ... وينطلقان حتى يكونا عند باب جهنم ... وينظر دانتى فيرى كلمات نقشت من نور على لوحة علق على أعلى الباب ... هى كلمات الآله العزیز من غير شك ... ويؤذنت لها فيدخلان ، ويسمع دانتى الى أنين المذنبين ، فيخبره فرجيل أنهم أولئك الذين قضوا حياتهم الدنيا فى لهو ولعب ، لا يمتنبون أن يقدموا عملاً صالحاً يفهمهم فى الدار الآخرة . ثم يبلغان عدوة نهر أشيرون ، ويريان جباره العتيد ذا الطول (خارون) منتصباً كالوحش فى زورقه الذى ينقل فيه أرواح الأشقياء من هذه المدوة إلى المدوة الأخرى ... وهنا ... تدور جهنم برأس دانتى فيمره من اثنيان والفتشية ما يهوى به إلى الأرض (٤) ... ثم يدوى رعد قاصف فى أركان جهنم فيهب دانتى من غيبوبته ، ويتعلق بأذيال فرجيل ، وينطلقان حتى يلغنا الدرك الأول من دركات الجحيم واسمه (ليمبو Limbo) حيث يشق أولئك الذين استهتروا بتقاليد الكنيسة ، فلم يبالوا أن (يُبمَدوا) !! ولو أنهم كانوا مع ذلك بررة أخياراً ، (٥) ويبلغان الدرك الثانى من النار ، ويرى دانتى إلى مينوس أحد قضاة الجحيم الذى يسأله كيف نفذ إلى هذه الدار وهو ما يزال حيا من أهل الدار الفانية ، وينذره أنه لن يحتمل زفير سقر ... وينظر دانتى

(١) هذه الأرقام إشارة إلى فصول الجحيم ولد لحصانها هذا الثلثين الموجز حتى يتصل بعضها ببعض

فيرى إلى جموع الفجار الشهوانيين من أهل الفسق تمصف بهم ربح السموم ، وتنغم هنا وهناك كما ينثر الریش فى يوم عاصف ... ومن هؤلاء هيلين التى شبت بمحبها حروب طرواده ، وكليوباترة ، ثم يرى الزوجة الفتونة فرنشسكا التى أحبت أخا زوجها (باولو) حين كان يقرأ لها قصة لانسولت القرامية « فلما بلغنا هذا الحد من القصة ، ورأينا باولو يطبع قبلة حارة على فم فرنشسكا ، نظر باولو إلى ، واغرورت عيناها بالدموع ، وأهوى على فى يقبله ... واستلمت ... فلم أقاومه !! » وبالم دانتى أشد الألم وأبلته ، فينشى عليه حزناً على فرنشسكا التى كانت تقص عليه خبرها (٦) وينهض من غشيته ، ويبلغان الدرك الثالث ، حيث الحما السنون والوحل المركوم تسبح فيه أرواح النهومين الطامعين ، وتنصب فوقهم شأيب من برد وتلج ، ويمزق الكلب سيربيروس أبدانهم شر ممزق . وبلقيان (كياشو) أحد الأشقياء فيتنبأ لها بما سيحتاج فلورنسا من شدائد (٧) وينطلقان حتى يكونا فى الدرك الرابع حيث تمذب أرواح البخلاء والبذيرين الذين يميز بعضهم بعضاً ، ويبلغان الدرك الخامس حيث تمذب أرواح العايبين وأهل الشر فى بحيرة (سنجيا) . ويطوفان قليلاً حول البحيرة ثم يصلان إلى سفح برج منيف (٨) فيقبل نحوهما نوق اسمه فلجياس فيحملهما فى زورقه إلى شاطئ البحيرة المقابل - ويصلان أيضاً إلى مدينة ديس (Dis) حيث تمذب أرواح الجن والمفاريت ولكن هؤلاء الجن لا يسمحون لها بدخول مدينتهم ويدودونها عن أبوابها (٩) ولكن ملكاً كريماً يهبط عليهما فيدخل بهما إلى ديس حيث يريان أخرجة فيها نار مشبوبة تمذب فيها أرواح المجدفين والمهرطقين (١٠) ويأخذ دانتى فى مجادلة بعضهم (١١) ويبلغ دانتى الدرك السابع حيث يلتقى كبيراً من هؤلاء المهرطقة ويتمنى لو أن جميع من لقيهم فى الجحيم (فى الدركات السابقة) كانوا فى ديس ليتذبوا كغلاب هؤلاء ! وينظر دانتى فيرى إلى بعض المرابين (١٢) ويبلغان الدرك السابع حيث يقودهما سنور عظيم فيقفز بهما من صخرة إلى صخرة حتى يكونوا فى قرار الدرك . وهناك ينظرون لى نهر من الدم تسبح فيه أرواح شريرة هى أرواح الذين أذوا جيرانهم . ثم يحملها سنور آخر إلى الشاطئ المقابل (١٣) فيشهدان طوائف شتى من الأشقياء

الدرك الثامن حيث حشد الشاعر المتعصب من سهام زراع الفتن
وتجار الضلالات وحيث جعل منهم نبينا صلى الله عليه وسلم
محمد بن عبد الله وابن عمه عليا ابن أبي طالب اللذين آتمهما هذا
الكانوليكي الوقح بأنهما من أهل الشهوات وأهل الشقاق
والنفاق^(١) (٢٩) ويمبران إلى الدرك العاشر حيث المزيفون
والكيميائيون فتتك بهم الطواعين وتضنيم الأصراف (٣٠) وفي
هذا الدرك أيضا بلقيان طوائف أخرى من النصايين والمالئين
(٣١) ويسمان فانغاً في صور يدوي في آفاق جهنم فيقصدان
إليه ، فاذاها الدرك التاسع من النار حيث المردة والشياطين
وكل خناس عظيم . وبأخذها أحدم (أنتيوس) في قبضته
فيجماهما في قرار الدرك (٣٢) حيث زهرير وبرد وتلج وحيث
بعض الايطالين جاثمون يتعذبون (٣٣) ويتحدث إليه بمض
هؤلاء عما كان من خيانة أحد مواطنيه ويحدثه عن جريمة قتل
حدثت في فلورنسا ولم يعرف مقترفها (٣٤) ويصلان إلى الدرك
الرابع من الدرك التاسع فيريان الذين أساءوا إلى من أحسنوا
إليهم ، مطمورين في تلج وجليد إلى أذقانهم . ثم يحملهما السنور
لوسيف فيكونان في هذه الدار مرة أخرى ويريان النجوم تتلألأ
في السماء كأنه لم يكن شيء !! وبذا ينتهي طوافهما بالجحيم
(لها بنية)

د . ع

(١) العروف عن دانتي أنه كان كاثوليكيًا سنيًا متعصبًا للكنيسة
تمسباً أعمى وقد ألهمت الحروب الصليبية حواسه فحضر الرسول في جميعه
وقال كارليل : (كان دانتي يد عمداً (س) طائفاً تحذ شرائع الكنيسة
وعربها وحرنها وضلل بها شيتة !!) وسبتنا ذلك فيا على

الضوء اللامع

لأهل القرن التاسع « للسخاوي »

تم طبعه في ١٢ جزءاً ، الحادى عشر منها كفهارس
منوعة له ، والثاني عشر في تراجم النساء ، وثمته جنيته
ونصف (ويطلب من مكتبة القدسى يباب الخلق -
حارة الجدوى بالقاهرة)

(١٤) في أقسام مستقلة من الدرك السابع . ويتحدث فرجيل إلى
دانتي عن تمثال كبير كان في جبل إيدا (أولب) ؛ وهو الآن يتصهر
منها في نيران الجحيم (١٥) ويقابلان حشداً من الأرواح الهائمة فوق
الحصباء المتأججة تتلمس شاطئ النهر ، ويشهد دانتي بينهم أستاذه
(١) بروتنولايتني فيجاده طويلًا (١٦) وينطلقان مع النهر حتى
يصب في الدرك الثامن فيةا بلهما فوج من مواطني فلورنسا المسكرين
فيتحدث إليهم دانتي حتى يحجزهم عنه وحش من وحوش الجحيم
(١٧) وبلقيان التنين جيرون فيرجوه فرجيل أن يحملهما إلى
الدرك الثامن ويكون دانتي قد أتمز فرصة محادثتهما وانطلق يكلم
الأشقياء الذين يمدبون هنا من أجل محاربتهم للفنون في الدار
الأولى - ويركبان فوق ظهر جيرون (١٨) فينطاق بهما إلى
الدرك الثامن الذي ينقسم إلى عشر دركات يصف الشاعر اثنتين
منها فقط في هذا الفصل وهما درك الزورين ودرك المخادعين
ويتعذبون في حيم آن وحما وروث (١٩) ويبلغان الدرك الثالث
من الدرك الثامن حيث يتوى الخبثاء من رجال الكنيسة الذين
دأبوا على بيع وظائفها بالمال (٢٠) ثم ينتقلان إلى الدرك الرابع
حيث يأوى الدجالون والشموذون (٢١) ثم إلى الدرك الخامس
حيث يسبح المختلسون وآكلو التراث في صديد يغلي وقار ،
عليهم حراس من زبانية شداد (٢٢) وتقودها طائفة من الجن في
الدرك الخامس أيضاً ويحدث أن يحاول أحد المجرمين الافلات
من ربة الزبانية (٢٣) ويصلان إلى الدرك السادس حيث المنافقون
يلبسون عبايات من نار وطرايطر من جمر ، وحيث إخوان الصفاء
من أهل بولونا (Joyous Friars of Bologna) (٢٤) وينطلقان
إلى الدرك السابع حيث اللصوص والنشالون تقذف الحيات
والأنامى سمومها في وجوههم وحيث الطواعين تصطلمهم
(٢٥) وبلقيان شيخ المجدفين (فوشى) حيث تمزقه الثمايين وتنفث
فيه سمها الأراقم ، وياقيان أيضاً بمض الفلورنسيين المارقين .
(٢٦) وبهطمان إلى الدرك الثامن حيث يهذب نصحاء السوء في
لهب مندلمة ونار ترمى بشرر كالقصر كأنه جمالات صفر ! وهنا
بلقيان الفارسيين الاغمر يقيين ديوميد وأوليسيز فيتحدث تأنيها
عن كيفية موته (٢٧) وجيد وذاموتفلترو (أحد الفلورنسيين
من خصوم دانتي ١١) (٢٨) ويصلان إلى الدرك التاسع من

شعراء الموسم في الميزان نقد وتحليل

للأديب عباس حسان خضر

- ٣ -

ثورة القدر

نظم الأستاذ أحمد محرم في هذه القصيدة قصص الأنبياء المقصودة في القرآن ليشيع فيها فكرته : ثورة القدر ؛ ففي كل من تلك القصص ناس نار عليهم القدر . وليس فيما قصه (نظماً) من جديد سوى أن يخبر عن أولئك الناس بأن الذي نزل بهم هو من ثورة القدر . ولقد حاول ، في أبيات ، أن يستخلص العبرة فكان القدر وقف في سبيل توقيفه في ذلك ... وليته ترك العبرة لتؤخذ من الخبر كما قال في القصيدة :

ما خيصة الرء إلا خير نفذ الحكمة من معنى الخبر
على أن قوام ذلك من استخلاص العبرة أو أخذها من الخبر ، أن يمزج بأحاسيس الشاعر ، ويؤدي إلى أحاسيس الناس فيطربهم ، أو يجتنب ارتياحهم ، أو ما بين ذلك من درجات التأثير . فإذا في القصيدة من ذلك ؟ إليك المطلع تليه قصة آدم وإبليس :

عاصف ما قيل أمسك فازدجر زلزل الأقطار واجتاح البشر
هاجه من قبل في مربضه طائف مامسه حتى انفجر
أخذ الخصمين في هبوتيه وهوى غضبان يرى بالشر
من طريد أهلكته سجدة وشريد غاله شؤم الشجر
ثورة في الأرض من آثارها كل يوم ثورة تزجي العير
شمخ الكبر بهذا فهوى وأراد الخلد هذا نذر
ثورة خاطئة لو لم تقم في ظلال العرش ما نار القدر
تجمح النفس فلا تنفعا بينات الأمر من خير وشر
وجلال الحق في صورته مظهر العزة في هذى الصور
فاز بالرضوان من أكبره فتجافى عن هوان وصنر
تترى أن أكثر المتأني في قوة الألفاظ وقوة القافية ، وهذا موأم لحال المعنى ؛ ولكن هذه الأبيات ، بل القصود المؤلفه من

صخور الكلم وجماميد القوافي لا تتلأ جوانبها روح الشعر ،
ولقد وصف الشعر في هذا البيت من القصيدة :

ومن الشعر قصود نغمة وقبور موحشات وحفر
بما ينطبق على شعره ، فهو يترك الشعر ، من حيث الجودة
والرداءة الى القصود النغمة والقبور الموحشة ، فيمبر عن الشعر
المال بالقصود النغمة وان كانت غير آهلة !

سرد الشاعر القصص مبيناً فيها مواطن ثورة القدر ، وفي
جميعها لم يترك القدر الا على أقوام أبوا اجابة دعوة الرسل وسخروا
منهم وأفسدوا في الأرض فكان ما نزل بهم عقاباً لهم على طغيانهم ؛
ثم أخذ يصف هذا القدر الماقتب بالظلم والبنى ، فيقول :

ينتصب الظلم على غلبه ما تمنى من قصود وسرد
وترى البنى على أنياب ناعم الروحات ريان البكر
فكيف يتفق ربه القدر بالظلم والبنى مع ما قدمه قبل ذلك
من الاشارة بعبده في صرع المتجبرين الماصين ؟ !

والشاعر يتحدث في آخر القصيدة عن الشعر وعن موسم
الشعر بدون مناسبة للموضوع ، ولو كان تمت مناسبة لكان
استطراداً مقبولاً

واقعد أحسن في وصف من أغرقهم الطوفان بقوله :
غمر القوم فهم في جوفه فتة غمرقى وكفر مستر
أم كالمح ذابت وقرى ذهبت كالحلم أو وهم خطر
فقد ألم في هذين البيتين بعمان سرية ودل عليها بأوجز لفظ

رواية نسيم

بي فوق ما بك منهم أيها الطلل لك البلى ولى التبريح والبلل
محتك من عاصفات الريح سافية وواكف من شأيب الحياهطل
أود أن أعرف أين الطلل الذى يخاطبه الأستاذ أحمد نسيم
هذه المخاطبة ، فما أظن من كان يحبها إلا ساكنة في «عمارة» أو
«قبلا» أو في بيت عادى على الأقل . وإذا ارتحلت عن مسكنها
فلا بد أن يحل محلها من سمرة ؛ وهو إذا بكى فلا بد من هدمه
وبنائه من جديد ، فلا الريح السافية تحويه ، ولا واكف الطر
يهطل على رسومه . لقد كان الشعراء الأولون يقفون على أطلال
جبايهم ، فتملأ نفوسهم تشوقاً وحسرة على ما مضى ، فيقولون
الشعر فيما يحسون ، أما نحن في هذا العصر فلا تقف - بد
زوال عهد الصباية - إلا على ما تحتوته أدرج المكاتب من

ويتنادرون بأنه أشدها الرحوم حافظ بك إبراهيم فلما جاء عند قوله :

لو ان الساعي تكسب المجد لم يلح بأوج الملا الا أنا وأخي البدر
قال له حافظ : ايه يا أخانا . . . يورى بأنه البدر

وهي - كسائر شعر القاياتي - نبيلة الأغراض ، مركزة الماني ، وكثيراً ما أغار على معانيها لصوص الشعر كأنما صاحبها قد أسهبها . . . تضيق ألفاظها بتمانيها ، فبعض المعاني يورزه البسط في التادية مثل قوله :

حبيب الى الانسان كل طريفة ولوبات في أثناء برده البدر
فهو في حاجة الى أن يبين بأن اللازم حمل ولو كان البدر ؛
على أن أكثر المعاني يؤديها اللفظ بإيجاز بليغ كقوله :

شمال غر أصبحت وهي سؤدد ويانمة الأتار وأهلها زهر
والقاياتي عميق الفكرة ، دقيق الالتفات ، ولعل هذا هو الذي يجعله ضئيلاً بالبسط ، فهو يرى أنه أبان بتأديته الماني بذلك الإيجاز ، فالزيادة حشو ، فهو يملو في أسلوبه مترقماً بالجزالة عن السهولة والتبذل ، انظر الى قوله :

أشفت وصال الغانيات ملاحه تلهييك بالحسنة ليس لها مهر
فانك وأنا إذا أردنا أنت نعلم ما يقول لا بد أن نشخذ ذهن
ينفذ الى عمقه ، وهناك تقف على معناه ، يقول : ملاحه الحسنة التي لا تزوجها فلا تدفع لها مهرأ أشهى وصال الغانيات وأشده قتلاً للكلف المدله

والقاياتي شاعر مجدد . . . من المجددين الحقيقيين لا الذين يرددون كلمة التجديد ، ويتحلون بمضمونها ، فهذه قصيدته قل أن تجد فيها معنى من المعاني العامة : فأكثرها مشابه من خواص المعاني التي لم يسبق اليها كقوله :

كأن وساماً يعتلى صدر جاهل . جنى من الأزهار يحمله قبر !
وقوله :

تطالعنا تحت البراقع أوجه حنان كايغرى دُجُنْتَه العجر
وقد تناول في القصيدة بعض النواحي الاجتماعية بالنمى والنقد المر كقوله يصف المجالس والجمعات :

مجالس حفل بالقبيح كأنها مغاني بنايا ماؤها الفحش والمجر
الى أن يقول في ذلك :
تحياتهم سب الجدود فكاهة وكمنيل فيمن يشتمون فتى بر
سباب تهاده الثفور بواسا كأن الذي أهدها بينهم عطر !

الرسائل الغرامية والصور الفتوغرافية وما الى ذلك ، فن يقف منا على طلال فاعنا يقف على طلال الزمن القديم لا على طلال الأجيال على أنه مهما يكن من شيء فان الأستاذ نسيم يكاد يبالغ في هذا المعنى مبلغ المجيدين من قدامى الشعراء ، وخاصة في قوله :
« لك البلى ول التبريح والعلل »

والقصيدة ليست في موضوع خاص ، وإنما هي (لامية نسيم) أى أن موضوعها ما يقوله نسيم على قافية الام . . . وهي مع هذا منسجمة المعاني ، متأنفة الأجزاء ، زينها البيان ، وأبياتها عامرة بالمعاني ، منها قوله في وصف الشيب :

قل للشيب إذا ما لاح مشتلا
ما أنت إلا لظى في القلب مشتعل
إلى أن يقول :

كأنه أحرف بيض يسطرها في مفرق كاتب للعمر مختزل
وأناشدك الشعر أن تقف مع برهة عند هذا القصر الفخيم ، لا البيت ، ولا الطلل الذي وقف عليه الشاعر ؛ لتجلى ما يحتويه من الغرائب ، فهذا كاتب يتعبه الحساب : حساب سنى العمر الطويلة ، فيمهد إلى اختزالها بطريقة غريبة ، وهي تسطير الحروف البيضاء في المفاقر

ومن محاسن القصيدة قوله :
شر من الخطب مثر رحت تحسبه
أهلاً لسونك وهو الماجز الوكل

يختال في حلال خز ولو عقلت لنسلت نسجها من خزها الحمال
وكيف يفخر مغتر بجلمته وصدره من فلدات النهى عطل
شان النسي الذي يضحي بلا عمل

شان النبي الذي يزرى به الكسل
ولكن وصفه لنفسه ، بضمير الغائب ، في قوله :

كأنه شامخ لا الحزن يوهنه ولا يبحرك من أركانه الجذل
لا يليق بالشاعر الذي من خصائصه أن يكون مسرف الحس فلا بد أن يطرب ويحرك الجذل من أركانه

اجتماعيات

قصيدة الأستاذ السيد حسن القاياتي ، وهي قصيدة قديمة تردد مجالس الأدب بعض أبياتها كقوله :

كأن وساماً يعتلى صدر جاهل جنى من الأزهار يحمله قبر !!

والقصيدة عليها مسحة من الجودة ، وفيها أبيات مطربة
كقوله في وصف الكأس والنديم :

أيا حزناً علىّ ولست أنسى ليالى كنت أحسوها ثراباً
ينادمى غصبيض الطرف صاح ذكى يستبيك اذا تقابى
يميل بكأسه يسقيك منها صفاء بمد أن رشف الجبابا
فلا أدرى أ كانت من رحيق كنفح الطيب أم كانت رضابا
سحرت رهل شرابك غير سحر وضوء الشمس بين يديك ذابا
حنانك أبق من عقلى قليلاً لأعلم حين تسألنى الجوابا
وهذا في الحق ابداع وفي قوله : « ذكى يستبيك اذا تقابى »
جمال يستبيك

وشعر الأستاذ حسين شفيق شفيف الظل ، تشيع فيه روح
الفكاهة . ويظهر أن هذه الروح تلازمه حتى انك تجدها في
التحسر على سالف الشباب ، وكم هو ظريف في قوله :
ومن يكتم حساب سنه يوماً فصفحة وجهه تبدى الجبابا
كأن صفحة الوجه « عداد » للسنين ...

وهو في هذا البيت :

ولولا أن يقال دهاء مس نغولط تما تأيت الخضابا
لا بأبى الخضاب إلا خشية اللوم ، أى أن الخضاب عنده
ان لم يكن يوده فهو أمر لا غبار عليه ، ولكنه في البيت التالى :
ومن ظن الشباب صبيغ شمر فان الصقر قد أسمى غرابا
يسخر من صبيغ الشعر ، فيقول ان صبيغ الشعر لا يجتاب
الشباب ، وإنما يشوه ، كما يمسخ الصقر غرابا اذا صبيغ بالسواد ،
والخضاب والصبيغ من قبيل واحد ، فودادته الخضاب في البيت
الأول لا تتفق مع السخرية من صبيغ الشعر في البيت التالى
وقد تعارف الناس على أن شارة الحداد السواد ،
ولكنه يقول :

تخذت بياض رأسى لى حدادا على عمر الشباب فواشبابا
فكيف يتخذ البياض حدادا ؟ (١)

غريب في باريس

ليس يكفى هذا العنوان وعلمُ الناس أن الدكتور زكى

(١) السواد شارة حداد عند التارفة ، أما أهل الأندلس فيتخذون
البياض حدادا (الرسالة)

وقد صور نوازعه وأحاسيسه في القصيدة تصويراً بارعاً صادقاً
والأبيات الآتية تدل على نبل خاقه ، وتصور صيول نفسه ، قال :
إلى الله أشكو أنني لست واجدا سوى لذة من دون تخصيها بالهجر
أشف وصال الغايات ملاحه تلهيك بالحسنا ليس لها مهر
إذا أمكنت من ريقها الخمر صاح بي
نذير الهدى : ما أنت ويمحك والخمر
أمر بها في الكأس حمراء عذبة فأحسبها جمرأ وفي كبدى جمر
وفي البيت الأخير يقول إنه يمر بالكأس حمراء عذبة ، فاذا
كان يشهدا حمراء فكيف علم عذوبتها ؟ !

قد يباح للشاعر أن يتردد ويتناقض في قصائد من شعره
لا اختلاف الظروف التى تحيط بمشاعره ، فان للشاعر من ذلك
ما ليس للعالم الباحث ؛ وان كان لا يميز له أن يتردد أو يتناقض
في قصيدة واحدة ، فكيف يجمع شاعرنا بين قوله :
كفى ضيعة للحن خدر يصونه
أرى الطيب كل الطيب أن يهتك الخدر
وقوله :

كنا سكم يا أيها الغيد أننى ضمنت لكم أن ينهب الأوثان النثر
هو العار فليقن الحياء وإنه
لكالتحجر للعشاق أن يكشف النحر
وفي البيت التالى مناقضة :

يقولون ان الراح للفكر صيقل

وربك ما فى الراح عقل ولا فكر
فان خلوا الراح من العقل والفكر لا يمنع من أن تصقل الفكر ،
وهناك كثير من الأشياء تصقل الفكر وليس لها عقل ولا فكر

الشباب

والأستاذ حسين شفيق المصرى لا يذكر الشباب إلا بالمهورى
والشراب كأن الشباب ليس فيه ما يذكر وما يتحسر عليه إلا
الأوانس والحما ، فهو يقول فى الطلع :

تذكر بمد أن شاب الشباب فأنّ وقد دعاه فسا أجابا
وشاقتـه الأوانس والجيا فود من التشوق لو تصابى
وليس فى القصيدة ذكر للشباب بنير الهو والمجون ، فهى
لا تعنى الشباب إلا بما فيه من التاجن ، أما ما يلبس الشباب
من نواحى الجد فلا أثر له فيها

ألا ان الغريب في باريس يقول قصيدة لم يقاها بمد الدكتور
زكي مبارك
مهلة شعراء

هم الأسانذة : سيد ابراهيم ، عزيز بشاي ، كامل كيلاني .
أنشد كل منهم قصيدة كانوا قد أنشأوا أو اختاروا من شعره غيرها
تكون أدنى إلى النهاية المرجوة من الموسم ، فالتاس يتنون من
موسم عتقل له شعراً يشعروهم بجزالته وعلو معانيه وسمو أخيلته
أن للموسم خطراً . . . أما الأول والثاني فكان قولها نافعاً :
معان عامة وأفكار عادية وأسلوب خال من القوالب والتعبيرات
الشعرية مثل قول الأول يتاجى ولده :

جدلان تفرح لو يز يد على نصيبك درهم
وقول الثاني يصف حال الأغبيا :

لا يملؤون بعلم عقولهم ويعلمون بطونا بالجنهات
وما إلى هذا مما لا تطيل بذكره لعدم فائدته . وانه خير
للأستاذ سيد ابراهيم أن يقتصر على خطه الجميل ويدع الشعر للشعراء
أما الثالث وهو الأستاذ كامل كيلاني فقد أتى قصيدته
« الباز والقبرة » وهي تحكي أن « بازاً » اصطاد « قبرة » فجاءه
« لقلق » يأخذ عليه استبداده بالقبرة الضعيفة ، فقال له الباز :
وأنت أيضاً تصطاد الضفدع الضعيف فهلا تركته كما تريد مني أن
أدع القبرة . ثم علق الأستاذ على الحكاية بمد أن ساقها نظماً
بقوله :

كم خطيب على الكا رم قد حث مشره
ان رأى ناكباً عن الخي ر لحاء وعيره
هفوات الوري يرا ها ذنوباً مكبره
ثم يلق ذنوبه هفوات مصفره
مثل هذا منافع جعل النصح متجره
نصحه كله خداع وعش وثره
وموضع قصيدة مثل هذه كتاب من كتب الأطفال ،
لاموسم الشعر ؛ وأسلوبها سليم ، ونظمها طبيعي لا تكلف فيه
أما تقدمها من حيث الموضوع فن اختصاص أهل العلم بتربية
الأطفال ، فلا تقول فيها لا نعلم
عباس صانه مفضل

مبارك قضى فترة من الزمن في باريس يطلب العلم في إحدى
جامعاتها ، لأن تصف هذه القصيدة غريباً في باريس ، بل لا بد
أن تقي القصيدة نفسها بهذا الغرض ، لا بد أن تصف غريباً
وتصور نوازعه وحينئذ إلى وطنه ، ولا بد أن يكون هذا الوصف
ملائماً لباريس مشتتلاً على خصائصها . أما عن الشطر الأول
فقد فعل وأحسن ، وإن كان لم يُجيد الإجابة التي تتبني للدكتور
زكي مبارك ؛ تألم من الغربة فقال :

ياجنة الخلد كيف يشق في ظلك النازح الغريب
الناس من لهوم نشاوى ودعمه دافق صيب
بقتات أشجانه وحيداً فلا صديق ولا قريب
أقصى أمانيه حين عسى أن يهجع الخفق والوجيب

وهذه الأبيات أحسن ما في القصيدة

وحن إلى وطنه فقال :

مفاني النيل كيف أقصت ريب أزهارك الخلوب
وكيف ألقينه بأرض أسح أحلامها كذوب
وصور نوازعه إلى المجد الذي قد اغترب من أجله فقال :
يسلد السهم ليس يدرى أيخطى السهم أم يصيب
يطارد المجد في زمان أقباله غادر لموب
السهم من ناسه شريد والحار من أهله غريب

وهذه الأبيات - وإن كانت عادية - فيها روح من

يطارد المجد

وأما باريس ، فلما الله باريس كل ما أتى به عنها قوله في
المطلع : « ياجنة الخلد » وقوله بمد ما ذكر أنه أتى بأرض اصح
احلامها كذوب :

أديم أجوائها سواد فلا شروق ولا غروب
وحب غاداتها موات فلا سكون ولا هبوب

أكل ما يقال عن باريس أن الضباب يملأ أجوائها وأن
حب غاداتها موات ؟ وهل تمد هذه الأشياء من خصائص
باريس التي تميزها من غيرها ؟ أو لا يصح أن يطلق على القصيدة
بدلاً من « غريب في باريس » : غريب في أي بلد من بلاد الله
التي يصح أن تشبه بجنة الخلد ، ويكثر فيها الضباب ويكون حب
غاداتها مواتاً ، ؟

٣- أثر الحرب الكبرى

في بريطانيا

للأستاذ رمزي ميور

أستاذ التاريخ الحديث في جامعة منستر سابقاً

تمتة

ترجمة الأستاذ محمد بدران

ناظر مدرسة بمقادن الابتدائية

أثناء الحرب ، وكان أعظم النتائج السياسية للحرب وأعجبها أن انتعش بهذه الطريقة الحاسمة ذلك الكفاح الطويل الذي دام أربعة قرون ، وتلك مقارنة ذات مغزى جليل تثبت أن الحرية لا الارغام هي التي تمسك أجزاء الأمبراطورية وتمتمها من التصدع والانهيار ، وهي أول امبراطورية قامت في تاريخ العالم ينطبق عليها هذا البدأ

وأول ما نشأ عن مطالبة أجزاء الأمبراطورية أن تشارك اشتراكاً أوسع من ذي قبل في الاشراف على شؤونها أن دعيت طائفة من الساسة يمثلون الأملاك المستقلة والهند لينضموا إلى عضوية « المجلس الحربي » وكان لهؤلاء الأعضاء شأن كبير في تقرير السياسة التي اتبعت في آخر أدوار الحرب ، وكان يظن أن هذا سيؤدي إلى وضع نظام للتعاون بين أجزاء الأمبراطورية أدق وأوفى بالعرض من النظام القديم . لكن شيئاً من ذلك لم يحصل لسبب رآه التتبعون لسير الحوادث نذيراً بالخلل الأمبراطورية في المستقبل ، ذلك أنه لما عقد مؤتمر الصلح حضره مندوبون عن الأملاك المستقلة والهند ، ولكمهم لم يحضروه من حيث هم أعضاء في وفد الأمبراطورية البريطانية فحسب ، بل من حيث هم يمثلون لبلادهم أيضاً ، ثم وقعوا الماهدات كعنايين لدول مستقلة ، ولما تكونت عصبة الأمم ظهرت الأملاك المستقلة والهند مرة أخرى وإن كان ظهورها في هذه المرة اختلف بعض الاختلاف عنه في المرة السابقة ؛ فقد جعلت الأمبراطورية البريطانية من حيث هي وحدة قائمة بذاتها عضواً دائماً في مجلس العصبة ، لكن كندا وأستراليا وزيلندة الجديدة وجنوب أفريقية والهند أصبحت كلها أعضاء في الجمعية العمومية للعصبة لها ماللدول المستقلة ، وأصبحت كندا بالفعل عضواً من أعضاء المجلس غير الدائمين . ويرى البعض في هذه الظواهر دليلاً على أن الأمبراطورية لا ينظر إليها في هذه الهيئة العالية كما ينظر إلى وحدة سياسية ، بل يامل كل جزء من أجزائها معاملة دولة مستقلة ذات سيادة ، ويميز هذا أن تلك الأملاك أعطيت حقها كاملاً غير منقوص في بحث المسائل الدولية داخل العصبة أو عن طريقها ، وأن الذي تبخسه ليس هو السياسة التي يجب أن تدير عليها الأمبراطورية المؤلفة من هذه الأملاك ، بل إنها تشارك في البحث اشتراك الدول المستقلة

وهكذا أظهرت الحرب ولاء أعضاء الامبراطورية لها ،

وفي أيرلندة أيضاً لاج أن الحرب قد أتاحت لها فرصة العمل على نيل ما كانت تطالبه منذ زمن بعيد من تقرير حقها في الحكم الذاتي . وكانت أيرلندة هي الجزء الوحيد من أجزاء الامبراطورية الذي اتهز فرصة الحرب للثورة مع أن هذه البلاد كانت من الوجهة القانونية جزءاً من المملكة المتحدة ممثلاً في البرلمان البريطاني أتم تمثيل . وقد فلتت أيرلندة ذلك من قبل فتارت في كل حرب من الحروب الأوربية الثلاث التي اشتمت فيها بريطانيا في القرن السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر . شبت الثورة فيها علناً سنة ١٩١٦ ، ثم أخذت ولكن الحكومة شمعت أن من الخطر أن تطالب أيرلندة بما كانت تطالب به إنجلترا واسكتلندة وويلز من الرجال ، ومع أن كثيرين من الأيرلنديين قد طوعوا للحرب باختيارهم فقد بق الشيب الأيرلندي بوجه عام في معزل عنها يدعو الله أن يخذل بريطانيا . ولما وضعت الحرب أوزارها شبت فيها من جديد نار الثورة التي كان يلوح وميضها خلل الرماد ، ودارت فيها رحي حرب أهلية طاحنة انتهت بأذعان بريطانيا وتسليمها للقوة بما لم ترض أن تسلم به للنزاع الدستوري فأعطت الأيرلنديين أكثر مما كانوا يرتضونه قبل ذلك الحين ، ذلك أنها قبلت في سنة ١٩٢١ أن تتكون من أربعة أخماس أيرلندة « دولة أيرلندة الحرة » وهي دولة ذات استقلال داخلي تام تتمتع بنظام « الأملاك المستقلة » وبحق تقرير ضرائبها الجركية وإنشاء جيشها وسن قوانينها وسك عملاتها . وبذلك كانت جزء الأمبراطورية الوحيد الذي ظل طلبه الحكم الذاتي يرفض، على الدوام جزءها الوحيد الذي نبذ كل فروض الطاعة والولاء

التي تنعقد بانتظام في كل عام والتي تدور فيها المناقشات العامة ،
وللمصبة مجلسها الذي يجتمع ثلاث مرات في السنة . أ. ا.
الامبراطورية فايس لها إلا المؤتمر الامبراطوري الذي يجتمع مره
في كل أربع سنوات والذي حددت له واجباته . وللمصبة
سكرتيرية بديمة النظام ذات هيئات خاصة من الخبراء تبحث
الشاكل الحربية والاقتصادية ومساائل العمل والصحة وما الى ذلك ؛
أما الامبراطورية فليست لها هيئة مركزية إلا وزارة المستعمرات
التي هي جزء من الأداة الحكومية لضوء واحد من أعضائها وهي
لذلك لا تستطيع أن تعمل معتمدة على تأييد جميع الأعضاء

ويرى الجنرال اسمطس الذي ربما كانت أعظم ساسة
الامبراطورية كلها والذي كان منذ ثلاثين عاماً يقاومها بقوة
السلح ، ويرى هذا الجنرال أن الحكومة اللامركزية في
الامبراطورية وصلت الى أبعد حد حتى أصبحت انحلالاً حقيقياً ،
وهو فوى الاعتقاد بأن الرابطة السياسية التي نشرت لواء السلام
على ربيع بلاد العالم هي رابطة جلية القدر يجب ألا يسمح
لها بالانحلال تدريجياً ، ولذلك يدعو إلى العمل فوراً لتقوية هذه
الرابطة بوسيلة لا تنقص من استقلال أجزاء الامبراطورية كما
لا تنقص عصبة الأمم من هذا الاستقلال

فاذا ما شرع في العمل لهذه الغاية فان أربسة أمور يجب
مراعاتها بنوع خاص : أولها أن توجد وسيلة للتشاور الدائم في
السياسة الخارجية تضمن اتحاد الامبراطورية كلها في العمل
داخل دائرة المصبة وبهذه الوسيلة يتسنى للامبراطورية (التي هي
أكبر قوة لنشر لواء السلم في العالم) أن تضطلع بقسط كبير في
تقوية دعام السلم العالمي . والأمر الثاني أن توضع سياسة مشتركة
للدفاع الامبراطوري يمكن بواسطتها تنفيذ المهود التي باقياها على
عاقها ميثاق المصبة ونشر لواء السلم والقانون في الأصقاع الواسعة
التأخرة غير المستعمرة داخل حدود الامبراطورية . والأمر الثالث
أن توجد وسيلة للتشاور والاتقان على الطريقة التي تعامل بها
الشعوب التأخرة التي تكون الآن قسماً كبيراً من سكان
الامبراطورية . ذلك بأن تبة حكم هذه الشعوب التأخرة يقع
معظمها الآن على عاتق بريطانيا . غير أن أفريقية الجنوبية تقع
عليها أيضاً تبعات كبيرة من هذا القليل . كذلك اتدبت استراليا
وزيلنده الجديدة بمد الحرب لادارة أرضين واسعة في غلة الجديدة
وجزائر المحيط الهادى . وتعالى كندا مشاكها للخاصة في كيفية

ولكنها أعقبا ضنف ظاهر في الروابط التي تؤلف بين هؤلاء
الأعضاء . فالأملاك المستقلة تطلب لنفسها حق تعيين سفراء من
قبلها لدى الدول الأجنبية وأصبحت تتمتع بهذا الحق دون
معارضة ، فقد عينت كل من كندا وإيرلنده سفيراً لها في واشنطن ،
وتطالب هذه الأملاك أيضاً بحق عقد الماهدات مستقلة مع الدول
الأجنبية . وقد عقدت جنوب إفريقيا بالفعل معاهدة مع ألمانيا .
واعترفت بريطانيا نفسها بهذا الانحلال التدريجى وتفكك وحدة
الامبراطورية السياسية فقد نص في ماهدات لوكارنو صراحة
على أن بريطانيا وحدها هي التي ترتبط بالتمهدات المدونة في هذه
الماهدات وأن الأملاك المستقلة لا شأن لها بها . ووضع هذا
النص بناء على طلب الأملاك المستقلة نفسها لأن السياسة التي قامت
عليها هذه الماهدات لم تكن وليدة اتفاق عام بين أجزاء
الامبراطورية بل قررتها بريطانيا بمفردها إذ لا توجد أداة لوضع
سياسة عامة تسير عليها الامبراطورية

وبهذه الطريقة أصبحت الامبراطورية البريطانية بعد الحرب
هيئة سياسية مفككة المعرى ؛ فليست هي دولة واحدة إلا في
خضوعها خضوعاً اسمياً لتاج واحد ، وليست هي دولة تماهدية
أو طناً قانونياً أو عصبة مجتمعة تعرف بها ، وذلك لأنه لا توجد
ساهدة تختم على أعضائها الاشتراك في العمل . وإنما هي شركة
مفككة مكونة من دول مستقلة تربطها بعضها ببعض عاطفة
ومصالح مشتركة ولكل عضو فيها كامل الحرية في أن يختط لنفسه
الخطة التي تلامحه في أى وقت شاء . واعترف بهذا اعترافاً كاملاً
مريحاً في المؤتمر الامبراطوري الذي عقد في عام ١٩٢٦ والذي
كانت قراراته من أهم الحوادث البارزة في تاريخ الامبراطورية
البريطانية . وقد يرى فيها المؤرخون في المستقبل تسجيلاً نهائياً
لترك كل محاولة ترى إلى تدعيم وحدة الامبراطورية السياسية
واعترافاً مأمحلاً ؛ هذه الامبراطورية انحلالاً ودياً نهائياً . والدليل
على ذلك أن الاملاك المستقلة أعضاء في عصبة الأمم تربطها بها
روابط وثيقة وليست أعضاء مرتبطة في جسم الامبراطورية

ومع هذا فان الأملاك المستقلة (مع جواز استثناء دولة
إيرلنده الحرة وجنوب أفريقية) تمد نفسها مرتبطة بالامبراطورية
برباط أقوى مما بينها وبين المصبة . وإنما الفارق بين الهيئتين أن
المصبة أوجدت أداة للاستشارة المشتركة ، والعمل المشترك أحكم
من كل ما فكرت فيه الامبراطورية . فللمصبة جميعتها العمومية

ثم يتبع في داخل هذا السياج بالتدرج نظام التجارة الامبراطورية الحرة . ويرجو أنصار هذا الرأي أن تؤدي هذه الوسائل الى تمكين الامبراطورية البريطانية بصفة عامة من الاكتفاء بنفسها وهو ما تعجز عنه بريطانيا وحدها بطبيعة الحال . وبذلك تصح الامبراطورية وحدة مالية على نمط الولايات المتحدة الأمريكية وتحقق الفكرة التي يدعو إليها بمضهم لتكون علاجاً لما نزل بأوروبا من الكوارث وهو انشاء ولايات متحدة أوربية وان كان الأمل في تحقيق هذه الفكرة ضئيلاً . على أن الصواب القاعة في وجه هذا المشروع البريطاني كبيرة حجة . منها أن الأملاك المستقلة والهند لم تظهر دليلاً على استمداها لترك سياسة الاكتفاء بالنفس التي تسير عليها أو تسمح بدخول البضائع البريطانية التي تنافس منتجاتها الى بلادها ، ومنها أن الرضاء الذي تتمتع به معظم البلاد التابعة للامبراطورية ناشئ من قدرتها على الاتجار بكامل حريتها مع جميع بلاد العالم وأن الأمم التجارية الأخرى تمارض في نقص هذه السياسة . وزيادة على ذلك فإن المعاهدات تجتم على كثير من الأملاك البريطانية وبخاصة ما كان منها تحت الانتداب أن تسوى بين بضائع جميع الأمم في بلادها وحتى إذا أمكن التغلب على هذه الصعاب فإن كثيرين من الناس يعتقدون أن الامبراطورية إذ استحالت وحدة مالية مستقلة عن غيرها أصبحت سبباً للاحتكاك والحرب بدل أن تكون عاملاً من عوامل السلم ، وإن اتباع سياسة الاكتفاء بالنفس والاستقلال عن الغير الى هذا الحد الكبير يجر الخراب على العالم ، ومن الناس من يعتقد أن بريطانيا نفسها لا تستطيع وهي آمنة أن تنامر هذه المفارمة الخطرة فتضحى بثاني تجارتها مع البلدان الأجنبية لكي تنمي الثلث الباقي وهو تجارتها مع سائر أجزاء الامبراطورية

على أن الجدل الذي قام حول هذه المشكلة المالية لا يمت بصلة الى المشكلة الأخرى الكبيرة التي قد تظني عليها المشكلة المالية وهي : هل يسمح أن تستمر عملية التفكك التي يلوح أنها أخذت تدب في جسم الامبراطورية بعد الحرب دون أن تتخذ الوسائل لوقفها عند حد ؟ وهل تستمر الامبراطورية على أنها أخوة من الأمم لا يرتبط بعضها ببعض إلا برباط العواطف وأن يكون مافها من أداة للتعاون أقل صلاحاً للعمل من أداة عصبية الأمم وهي الهيئة التي ليس بين أعضائها من الروابط ما بين أجزاء الامبراطورية ؟ أو هل يستطيع إيجاد وسائل للتشاور والاشترك في السياسة

حكم الهنود الحر في غربها والاسكيمو في شمالها . ومع أن الشعوب البريطانية أخذت على عاتقها هذه التبعات العظيمة وهي إرشاد الشعوب المتأخرة ونشر الدنية بينها فإنها لم تمن إلا عناية قليلة بدراسة المشاكل الناشئة من هذا الواجب دراسة علمية ، ولم يحاول الشعوب البريطانية أن تتبادل الرأي للاتفاق على المبادئ التي يجب أن تسير عليها في تحضير هذه الشعوب . وأخيراً إن الامبراطورية في حاجة شديدة إلى اشتراك أجزائها في العمل في الميدان الاقتصادي . لقد أخذت الشعوب البريطانية على عاتقها القيام بمثل كبير هو تنمية موارد أسواق واسعة في العالم ، لم تتم بعد ، حتى تنتفع الانسانية بهذه الموارد ، ولكنها لم تمر هذا العمل ما يستحقه من العناية . وليس لها أن تمدد مجرد وسيلة لاستغلال هذه البلاد أو تتركه للظروف والأقدار أو تكفه لاشراف الاتحادات التجارية الكبيرة غير المنظمة بل يجب عليها أن تفكر فيه وتنظمه على قاعدة تعاونية بالاتفاق مع جميع الدول الداخلة في دائرة الامبراطورية والتي تشترك معها في تحمل تبعته كما أن عليها عند ما تقوم بهذا الواجب أن تراعى جانب العدل في معاملة الشعوب المهجينة

إن المجال لا يتسع هنا لبحث ما يتبع من الوسائل في أداء هذه الواجبات أو الأداة اللازمة لأدائها ، ولكن الذي لا صرية فيه أنه إذا لم يشرع العاملون على تنمية موارد الامبراطورية في عملهم بمثل هذا الروح الذي وصفناه وهم عالون بما في وسعهم أن يصلوا إليه بمجهودهم ، إذا لم يفعلوا ذلك فإن الأمل قليل في بقاء الامبراطورية البريطانية كهيئة سياسية عاملة . لقد أخذت هذه الامبراطورية تسير بعد الحرب نحو الانحلال السلي بخطى سريعة ، وإذا ظلت تسير في هذه السبيل كان ذلك دليلاً على افلاس السياسة البريطانية

ولقد كان من نتائج ضمور الامبراطورية بمحاجتها الى سياسة تعاون قومية أن وضعت عدة اقتراحات ترى كلها الى تدعيم وحدتها بتقوية الروابط السالية بين أجزائها المختلفة . ومن هذه الاقتراحات أن تترك الأملاك المستقلة والهند سياسة الاكتفاء بالنفس من الناحية الاقتصادية أو تمدلها بمض التعديل على أن تعود الامبراطورية مجتمعة الى السياسة التي كانت تسير عليها بين عام ١٦٦٠ وثورة المستعمرات الأمريكية فتبدأ بإقامة سياج جبركي حول الامبراطورية كلها بعد تجارة البلاد غير البريطانية

مقطوعات شعرية

للأستاذ عبد الرحمن شكري

صداخ الحياة أم غابرها

قل كيف نجحاً ولا تقل لي ما حكمة العيش والبقاء
فطلب للملاء يمدو وآخر كله عناء
كم سأل السائلون قدماً ما تكون ما العيش ما الفناء
مسألة ما لها حجاب وليس يُلغى لها غناء
كساخط من طروق داء وتارك خلفه الدواء

ورد الأسمى

يارفاقاً طالما أنسهم لذة العيش حزينا ، يارفاق
قد وجدت الصدق في ود الأسمى مئة اللذات كب وفاق

غبي زكي

يا غيباً رأى الذكاء شقاء ورأى النحس أن يكون أريبا
أنت أذكي من الذكي الذي يح يا شقياً لكي يكون أديبا
وإذا كانت العبادة نسي فمن الحق أن تكون لييبا^(١)

(١) للمرى ولاسكندر بوب مثل هذا المعنى

الخارجية والدفاع وحكم الشعوب المتأخرة وما اضطلمت به من
إنهاء موارد البلاد الواسعة من غير أن يمس ذلك استقلال أعضائها
الداخلي بحال من الأحوال ؟ إن هذا النظام إذا أنتهى لا يمتارض
بطبيعة الحال مع الأغراض التي قامت من أجلها عصبية الأمم
بل يقوى بنائها ويمكن أساسها ، كما أنه لا يزيد في أخطار
الاحتكاك والنزاع إلا إذا اتبعت فيه سياسة المرزلة التجارية .
ولن يكون له إلا معنى واحد وهو أن أكبر إخاء من الشعوب
المختلفة رآه العالم في تاريخ حياته يستخدم ما يخوله التعاون من
قوة في استثمار موارد ربيع أنحاء المعمورة وهيئة هذه الموارد لخير
هذا الإخاء ولخير العالم التمددين كله وترقية الشعوب المتأخرة

ليس بين المشاكل التي خلفتها الحرب وتركها من غير حل
أعقد من هذه المشكلة وأعصى منها على الحل . محمد بدره

البصير الأهمى

يا قلب ضرباً ولا تعتب على قسم

قد استوى الناس في عتب على القسم
الحظ أعمى لدى من لم ينل أرباباً وهو البصير لدى من فاز بالنعم

فظة الضعة

في كل نفس من نفوس الورى شىء من الحقد وسوء الظنون
إن كذب الثنى على نفسه صدق من يرى بفضل القرين
لذلك يُعلى الخب من نفسه إن هدّ من فضل مدح قين^(١)
أكثر من إعلائه نفسه بأن يزكى النفس عند القطين

ناجح

كل بشرٍ منه فنجح كل لفظ منه غدر
بلغ النجح بلوم إن بعض النجح وزر

الكذب

للكذب في الناس أوساط مجنحة

والصدق يسمى لديهم كالكشفة
يهون ما لا يسبخ العقل من كذب

وينبذ الحق من حرص الجارة
كأنما الكذب ملح يستلذ به طهى الحديث وإشباع السخيات^(٢)

إخفاء السريرة بالنطق

أحسب أن الله أعطاك منطفاً

لتبسط من لغو الكلام على الصدق
وإن لسانا بين فكيك ناطق لإخفاء مادون السريرة بالنطق
وتكتم ما قد يُظهر الوجه أمره بقولك قولاً باطلاً مشبه الحق

هواجب الحفر

عجبت للمرء في بفض وفي مئة هما العجيبان إن أخى وحين عدا
يرمى النفاية لا يبنى لها نمناً حتى إذا ما حواها راعب حسدا
ويغفر الذنب من إحسان فاعله حتى إذا ما تعدت آلاؤه حقدنا

فخر الناجح

قبیح نجاح المرء إن هو شانه يفخر فلا يقبح نجاحك بالفخر

(١) جدين (٢) الأحقاد

والسيف، قبل النصر، في كفه
أما سمتم أمس تزاره
يتكف الغاب ليصطاده
وقد يصيد الليث صياده

قومي فلسطين على المعتدى
قومي على الذل، على واغل
قد تمخض الختل إلهك له
قومي فإن النصر ما عله
غير دم الأحرار لا يزهق
غير دم الأحرار لا ينقع
غير دم الأحرار لا يبعث

قومي فهل أجد من أمة
قومي فهل أخذت من قضى
مات ليحيا وطن مروهق
قومي وغنينا نشيد الردى
فالموت للهلول حرية
يا أيها العادي ربيب الأذى
يا شيعة الفدر وأنصاره
القبلة الأولى، على جودها،
لا تنزل الشذاذ، في قدسها
من ذا الذي ارتاد لكم منزلا
زموارحال الشوم من قبل أن
فاز الذي يجمع أطماره
النيل من يجمه داره ؟
غرتكم استجمامة للجمي
والغاب لا تستطيع إخضاعه
لا ترهب الجوز وإزياده
فساد للتاريخ ما شاده
عان يريد الله إسعاده
لا تسأمي في النقع ترداده
والموت لا يمنع وزاده
يا عترة الشر وأنداده
يا عصبه المال وغنياه
لا تكرم الذل وأخضاده
طرائد القرب وأوغاده
في الشام؟ إن القبر ما ارتاده!
نبتلع الظلم وأسناده
للبنين، أو ينزع أوتاده
والشم من يجمه زاده ؟
فختم للهنود إخلاده
حتى تغطي قبل أساده

كأن لم يكن أهلاً له حين ناله
هو الصمت قد يطرى إذ الفخر لا يطرى
جلامنه عيب النفس من بعد ستره
كذلك حديث العهد بالمال واليسر
ويارب نوح يسلب المرء رشده
ويبدى خصالاً منه تقتل أو تزرى

ترانه الحزم

عدوك مرجو فان كان حاسداً
فلا رحمة ترجى لديه ولا عدل
وليس بنذل كل من صال أو عدا
وتاب ولكن الحسود هو النذل

مفعل لمفعل

قالوا الأنام إذا اختبرت أمورهم
وبلوت من أحوالهم ما يتلى :
غر يخادعه لثيم عاقل
ولبئس حظ المرء إن لم يعقل
كذبوا، فعايش الأنام وهزله
إلا خداع مغفل لمفعل

يتهاشون على الحياة ورجسها

فعل الكلاب على خيث الأكل

عبد الرحمن شكري

جهاد فلسطين

للأستاذ أجد الطرابلسي

نار فهل تستطيع إخماده
عزم أراد الله إيقاده
لا يأتلى مضطرباً لاهياً
أو يلقف الظلم وأجناده
ويصرع البني وأنصاره
ويحطم الذل وأصفاده
قد وثب الشعب يرذ الأذى
وينزع الفل الذي آده
يرخص الأوطان آماله
طوعاً ، ودنياه وأولاده
والدم فواراً يروى الحى
أغواره العطشى وأنجاده
يكب كل فتى سيد
لا يهرب البني وإيماده
الدم في أعراقه صارخ
يدعوه أن يبعث أجداده
والشأ في حاقه نازح
يدعوه أن يطنى أخضاده

القصص

من الحياة

أهل ووطن للأستاذ كامل محمود حبيب

جمال الحياة التي عاش شرطاً منها بين أهله وذويه ، في وطنه الأول حيث ملاعب الطفولة ومراتع الشباب . وجاءته الذكريات من أقصى الطفولة تحمل على أجنحتها لئلا يذو ولا يذو لتتصب في قلبه هوماً وهوماً ، واضطربت جوارح التي أن وقف خياله عند الساعة التي أفرغ فيها عن وطنه وأهله فبكى التكلتي تنفقد سيرها حين تنفقد قلبها . ما الذي أزعجك عن وكرك أيها الطير وأنت ناعم على فنن تنرد ، ترى كل مباحج الحياة عند هذا المش الصغير ؟ لقد ضاقت بك الدنيا لأنك تركت قلبك هناك ... هناك في هذا المش ... !

لم يكن التي كلاً على أحد ، ولم يكن معدماً ، ولم يكن ضميماً ولا عاجزاً ، ولكنه هجر وطنه وأهله حين لم يجد فيها جمال الوطن ولا عطف الأهل ، وحين لم يجد بين أهله قلباً كقلب أبيه ينبض له نبضات الحنان والرحمة ، ولا رجلاً في رجولته يفيض عليه من بساط نور الحياة وجمالها . ووقف خيال التي عند الساعة التي هم فيها يفارق وطنه وأهله تتجاذبه عاطفتان : قلبه من خلف ، وتأبّيه أن يقيم على الضيم من أمام ! ثم غلبته كبرياؤه فانصاع لها تقوده الى حيث يجد أهلاً غير أهله ، ووطناً غير وطنه ؛ أو لا يجد ...

ماذا كان ؟ ماذا كان أيها اللزوي في ناحية من حجرة تحدث نفسك حديث الماضي ؟

مرض التي فراح يطبّ لمرضه في عزم الشباب وقوته ، وأريد على أن يلبث في مستشفى حيناً ، فاخطب أهله في شأنه ، وغاب عنه أن المرض ألم في الجسم وقلق في النفس ، وأن الشفاء يحمل الى المريض على كفين : كف الأسي وكف الطيب معاً لقد خاف - بادي الرأي - أن يفرغ أهله ان ساق اليهم الخبر في صورته المزججة ، فاستأني حتى يترع الطيب مشرطه ،

أرض الليل أستاره السود الفاتحة على دنيا غضبي تزجر في صوت طاصفة هوجاء ، وسما ينهمر منها سيل دافق ، وقد قرّ كل انسان في داره ، ونامت الحياة في كل حي ، والتي جالس الى موقد في زاوية الحجر ، تنمره لجة من الأفكار المضطربة ، والحواطر التناقضة ، فتججبه عن دنيا الناس . لقد رأى نفسه تصصف بها حادثات الأيام فتذرهما بددا ، فان مدّ يده ليجمع أشتاتها لم يجد منها إلا صبابة من نفس لا تستطيع أن ترد اليه

يا عربُ هيا فانصروا موطننا
هناك شعبٌ عربيُّ القوي
يسومهُ الخسفُ وأغلاله
نارٌ على ظلامه مكرماً
بجاهدنا أقسم لا ينثنى
شعبُ فلسطين يناديك
تدعّرُ النيرانُ آياته
أحاكم يا قوم ! لا تهملوا
رقوا لبلاؤه وثوروا له
فداهُ تكسون أبراده
أجد الطربلسي

فترات من فراغ يقضها الى جانب مريضه يواسيه ويعطف عليه ويحمل اليه - فيما يحمل - هدية صغيرة ، تنتزعه حيناً من أفكاره الظلمة ...

واستطاع الفتى أن يجلس الى ابن عمه يتحدث : « ما ذا جرى كأنك لم تقص على أهلى خبرى . لقد مضى أسبوع ولم يزرني سواك . انك تملأ قلبي سلاوة وعزاء بجمال جلماتك القصيرة ، ولكن ... » وراح الشاب يتلمس لأهله الأعذار : « من ذا يستطيع أن يقول سأفعل ... لعل حادثاً لم يترام الينا خبره حال بينهم وبيننا ... واضطربت الكلمات على شفתי الشاب حين أراد أن ينزع عن صاحبه بعض أفكاره ، وحين أراد أن يقول له إنه أصاب الهدوء والراحة حين عاقهم ما عاقهم عن أن يسرعوا اليه .

اضطربت الكلمات على شفتيه لأنه كان يسمع من ألقى ضميره صوتاً يقول : « أن لا عذر ... لا عذر اليوم ! » وكان يرى في إبطائهم استخفافاً وامتهاناً ، غير أن حكته أبت إلا أن تسدل على عيني الفتى ستاراً من الوهم . وما كان للفتى أن يسمع ، وان سمع فما كان له أن يصدق ، فهو وحده يشعر بالوحدة حين يخلو الى نفسه ، وهو وحده يحس ألم الصدمة . لقد أراد أن يفجأهم بخبر هادئ فانصرفت أيام وما رآهم . وتماثل الليل للشفاء ، وهم يريد داراً غير هذه ولم يرمهم أحداً . يا ويح هذا الفتى ! لقد راح يطلب الشفاء من علة في جسمه ، فلأت الأيام قلبه عللاً سلبته لذة الشفاء

وجلس الفتى الى عمه يماتيه : « أفكان من المطف أن أبتدئ في حجرة ، وحيداً ، متألماً ، مريضاً ، ألقى ما ألقى فلا أجد منكم من يزورني أو يكتب اليّ ؟ لقد كان أبي منكم بالمكان الذي تعرفونه ، وكنت من أبي من تعرفون ؛ أفلا تعرفون حقه في ابنة الملق على سرير في حجرة موحشة لا يجد من يواسيه الا ابن عمه الشاب ؟ » وأحس العم عظم الخطيئة فراح يستدر : « لقد حجبتنا عنك موت احدي قريباتك » وانطلق الفتى يقول : « لقد سميت الى الميت وقد انتهى ، ولبثتم حول قبره أياماً تبكون ، لتفركوا الحى الذى لا هو بالحى ولا هو بالميت يستروح نسيات الحياة منكم فما يجدها . أفبعد هذا ترعمون ، وترعمون ... ؟ » وسبقت زلة من لسان العم : « ولكن ... ان لك لهنات ! » فأسقط في يد

ليرسل إليهم خبراً هادئاً فيفقدون على مهل . ورفض جملة حاله أمام ابن عمه الشاب فلم يرهذا في حديثه إلا صفحة من الاعتداد بالذات ، والتفاني في الوثوق بالنفس ؛ ثم نظر اليه نظرات ذات معنى وقال : « أبيضيرك أن تستعينهم على مرضك ووجدتك ؟ » فقال الفتى : « لا ضير ؛ غير أنى أريد أن أجأهم بالخبر » قال الشاب « أفترانى أملاً فراغ قلبك حيناً من الدهر ؟ » قال : « ولم لا وقد عرفتك منذ نشأتى تفيض عطفاً وحناناً ، وتسدنى النصيحة خالصة للحب وللقرابة ، وتبدرلى طريق الحياة بمحبتك فأسير في سنا ضوه عقلك . لقد كنت لى جماعة فى فرد . والآن ... والآن أريد أن أعرفك فى مرض . » فصمت الشاب وقد حملته الفتى العبه وحده ...

وحمل البرق رسالة الشاب « فتأكم فى مستشفى (كذا) يطب لمرضه وينتظر قدمكم ، لا خوف ... » ثم انطلق الشاب يحمل الى مريضه خبر الرسالة

هل وعى المريض ما قاله الشاب الباسم ؟ لقد كانت وخزات الجرح تنفذ الى قلبه فى مثل طمنات الخنجر وهو يصمد لها فى ثبات وسبر ، وعلى وجهه علامات الضجر ؛ وكان السرور ينضح من جبينه بارداً غزيراً ليرسم عليه صورة ناطقة لآلامه ومتاعبه . واربد وجه الشاب حين رأى الفتى تتاوره الآلام ، وتتناهيه الأسقام ، ثم ابتسم فى رقة وهدوء ليداعب صاحبه وينزعه من آهاته العميقة ، ولكنه كان يجهد نفسه ليرتد اليه جهده خائباً غزولاً

وفى أنة المحزون انقلب المريض الى ابن عمه الشاب يقول : « ماذا فعلت ؟ ما ذا فعلت ؟ اننى أريد اخوتى وأعمامى وأهلى ... آه ما شمرت بالوحدة كالسيوم ... ! » ورن صدى هذا الصوت الضيف فى قلب الشاب طمعات من يد القدر فراح يقول له ...

ومضى يوم ويومان وثلاثة ... ويد الطبيب تمر رقيقة على جرح المريض فيلتئم صدع منه على صدع ، وتفرج فى قلبه صدوع وصدوع ، لأنه لم يفز بمد برؤية أحد أقرابه ؛ ولم يستشعر الحنان الا من قلب هذا الشاب الذى يختلس من أوقات عمله

وتناهيته الآلام : آلام المرض ، وآلام الوحشة ، وآلام عزوف أهله عنه ، فأخفى ضعفه النسك من عينيه في منديل

وخرج الفتى من لدن عمه مطوياً على آلام مبرحة تمزق نفسه ، وتمعض على قلبه حين رأى قلوباً تأكلها أحقادها ، وعقولا تصف بها ترهاتها ، وضائق الدنيا في عينيه حين أنهار مثله الأعلى حجراً حجراً بمد ما رأى من عمه وما سمع ، فهام على وجهه يطلب الفسحة في أرض الله ...

وهبت أول نسمة من نسبات الفجر تشهد قلباً كبيراً ينزح عن وطنه ، ويهجر أهله الى حيث تتقاذفه مطارح النوى ، الى حيث لا ينبض لذكره قلب ...

وانصرفت سنون ألبست الفتى شيخوخة باكرة ، ورسمت على فؤديه آثار حادثة مروعة استقرت في خياله فا تريم ، لقد سكن الى وطن وأهل غير وطنه وأهله ، وقلبه ما يزال عند الساعة التي أفرغ فيها من وطنه وأهله بيكي وبيكي ...

ليتك نسيت أيها النزوى في ناحية من حجرة تحدث نفسك حديث الماضي ، ليتك نسيت أنك كنت ...

لمحمد محمود حبيب

أصدرت مكتبة الوبيد

الرحيل

قصة امرأة ينقصها في الحياة الرجل
ورجل يموزه الايمان بالحياة
تلاقيا مع الصبح وافترقا عند الفسق
في البفور الجليل

لمحمود البيدوى

في مكاتب القاهرة وثمنها قرشان

ورسلها المؤلف مع كتابه « رجل » نظير خسة لروش بما فيه البريد
وصنائه ١٠٠ شارع الأمير بغير الخلية الجديدة مصر

الفتى أن سمع عمه يتشنى ، وآله أن ينتقم أهله . لقد ذل الفتى مرة وكل فتى يزل ، وما كان لهم أن يماقبوه وهو يحزن الى بعض عطفهم ، وما كان لهم أن يبنوه في المهاجرة وهو الشوق الى فيه ظلمهم . أى أهل ؟ وأى انسانية ؟ واندفع الفتى المنيظ : « هذا وقت تنسى الهنات ، وتنطوى الزلات . ان لي لهنات لأنى لم أبلغ سن العقل ، ولكم أخرى لأنكم لم تيدلوا النصيحة . ولقد كفانى أن تبدى لي الأيام ما كان خافياً ، وان تكشف لي الشدائد عن أشياء كنت أجهلها ، وعن أخلاق ظننتكم ترفعون عنها ... » ثم غمرت الفتى آلامه فأمسك ، وترقرقت في عينيه عبرة حبستها الكبرياء فاستبرح ، غير أن أحزانه ثارت في نفسه فقال : « لقد ظننتكم أهلى ، وركنت اليكم لأنكم أهلى ، وشت الخبير فيكم لأنكم أهلى . أما الآن فيا خيبة الرجاء ويا ضيعة الأمل ! »

وزرت في العم سورة من غضب أن رأى الفتى الطائش يلومه فيشتد في اللوم ، ويصاتبه فيسرف في العتاب ، وألم أن يقع بينهما تناهد ، ولكن الفتى كان قد صهرته الفكرة في بوثقة من الأحزان حين رأى عمه يتعلق بأوهى الأسباب بمد إذ عاقبه أهله على غير جريرة ، في جفاء وغلظة ، فرجع الى نفسه يمدشها ويرسمها على أن تلقى السلم ، فألقت واضطربت الخواطر في رأس الفتى ، فتركته موزعاً ينحى على نفسه باللائمة أن قل ..

ولشد ما آله أن يكون هو ابن آية ، ووحيد ، واقتراحه على الله حين أمجزته الأيام عن أن يكون له ولد ، والأمل الباسم في شيخوخة الشيخ وهو يدب على عصاه في طريق الفناء ؛ ثم يرى أهله يبنونه في مستشفى ، ملق على سرير ، في حجرة موحشة ، لا بأنس الا بوجه ابن عمه الشاب عصر كل يوم ، ثم هم يفلظون له في الحديث ، ويشتمون في العقاب . ولشد ما أحزنه ألا يكون له في هذا العالم الابن عمه يحنو عليه ، وينظر اليه نظرات فيها الرزاء وفيها السلوة ، ويدخل الى نفسه بكلام في رقة الأسيل لينسيه بمض ما همه ؛ وهو كان يرى - عن كذب - الفتى أو الشيخ من أسرته يصيبه بعض ما أصابه هو فينتقل اليه أبناء الأسرة زمراً زمراً يواسونه ، ويعطفون عليه ، وينزعون عنه آلامه وأحزانه . أما هو ... أما هو ...

أساة من سوفوكليس

٣ - أنتيجوني

للأستاذ دريني خشبة

— ٦ —

« تدخل إسميه فيخطبها الملك »

— « ها ! هلا ! أيها الحية الرقطاء التي ما تبرح تتحوى
هي وأختها تحت عرشى ! ماذا عندك من سموم تنفتنينا ؟ خيري !
ألمت ذات ضلع في هذه الأساة ؟ أم انك ستحلين بأغلظ
الايمن أنك لا تعرفين منها قُلاً ولا كثيراً ؟ »

— « إن كانت هي قد حدثت عنى بشيء ، فأنا شريكها
في كل شيء ، ولن أقول شيئاً أحمل به من نصيبى في القصاص !
فتقول أنتيجوني : « حاشا ! تأتي العدالة أن يحمل البريء
وزر الجاني ! أنا وخذى اضطلمت بكل شيء ، ولقد رفضت أن
أشركك في أى شيء ! »

— « ولكنى لن أدعك في تلك الملة وحديك ! »

— « الحنان من طرف اللسان لا يمتنى يا أختاه ! الآلهة
وحدها تعلم من فعل القلمة »

— « أوه ! أنت تأيين على أن أقاسمك شرف الموت معك
من أجل شقيق ! »

— « لا يبنى أن تموتى معى من أجل شيء لم تجتبه ! حسب
أخى أن تموت أخت له واحدة في سبيله ! »

— « وماذا أسبغ من سباهج الحياة بمدك يا أختاه ! »

— « سلى كرىون يميك ! إنه كفيل لك بكل هذه الباهج ! »

— « وماذا يسرك من إبلاى ووخزى هكذا ؟ ! »

— « قلبى مغمم بالألم ، ومن أجل ذلك فشفتاى تضحكان

عليك ! »

— « وهل لك حاجة أستطيع أن أؤديها لك الآن يا أختاه ؟ »

— « أجل ! حاجتى إليك أن تنجى بحياتك ! »

— « وأأسفاه ! أهكذا يحال بينى وبين مشاركتك هذا

الجد ؟ »

— « وله ؟ قد اخترت الحياة ، أما أنا فقد فضلت الموت ! »

— « لقد نصحت لك ! »

— « أجل ! لقد نصحت لى ! وقد يحمد لك تبهك فى هذا

العالم القانى ، أما أنا ، فستحمد لى الآلهة تفاقى وحكمتى فى العالم
الباقى ! »

— « ولكننا سيان فى هذه الرلة »

— « لا تزعمى يا عزيزتى ! ستميشين طويلاً ! أما أنا ، فقد

قدمت حياى قرباناً للموتى منذ زمن طويل . واذ يبلغ حوارهما
هذا الحد ، يقول الملك : « إحدى الفتاتين قد فقدت صوابها كله ،
أما الأخرى ... فلا صواب فى رأسها البتة ! ! »

فتقول إسميه : « مولاي ! فى مثل هذه المحنة لا يملك أحد
صوابه ! »

فيقول الملك : « على كل حال لقد فقدت صوابك بمحاولتك
مشاركة هذه المجرمة فى إجرامها ! »

— « وما قيمة الحياة لدى إذا فقدت أختى يا مولاي ؟ »

— « لا تقولى أختى ! إنها لا شيء ! لا شيء منذ الآن ! »

— « ماذا ! ! أقتل خطية ولدك ؟ أقتل أنتيجونى ؟ »

— « النساء كثير يا إسميه ! »

— « والحب ! ! الحب الذى ألف بين قلبيهما يا مولاي ؟ »

— « ومن بيتنى رفيق إفاك وعرس خبث لولده ؟ »

وما يكاد الملك يقولها حتى تنتفض أنتيجونى انتفاضة هائلة
وتقول :

— « هايعون ! حبيبي هايعون ! كم ذا يسىء أبوك اليك ! »

فيقول الملك : « بل أنت وزيمجتك الكراء شجوعى ، وظلام
فى حياى ! »

ويتساءل رئيس النشدين : « وهل تفصل بينهما يا مولاي ؟ »

أحمول بينهما وبين ولدك ؟ »

فيقول الملك : « أنه الموت وحده سيحول بينهما ! »

— « اذن ... انتقمتم سحب الريب ! ستقتل الفتاة ! »

— « ما فى ذلك شك ! ايها الجنود ! هلموا بها الى السجر ! »

ستدوب شجاعتهما حين يقترب الموت من عينهما الصنيدتين ... »

« يهودما الجنود الى الداخل وتدمب إسميه فى إثرهما »

— ٧ —

ويأخذ النشدين فى نشيد طويل حلو مليء بالهبة مبلل

ويتقدم هايمون الى أبيه الملك ، ويشهق شهقة هادئة ويقول :
 — « مولاي ! السداد بذرة سالحة تترمبها الآلهة في نفوس
 الصالحين ! ألا كبرت كلمة أن أقول انك أخطأت يا أبي !
 ولكني كاتبك الأمين أرى لزاماً على أن أتقصي أقوال الناس
 وأفهامهم ، بل وآراءهم أيضاً في ملكي الذي هو والدي ؛ وأكبر
 ظني أن سلطان الملك يلجم أفواه الناس فما يمحرون ؛ بيد أنني
 سمعت همساً أن الطيبين على بكرة أبيهم يذرفون الدمع مداراً
 من أجل الفتاة التي أسرت باعداسها ، وأنهم يرون في قضية القتل
 رأيها ويؤيدونها كل التأييد . على أنها ماذا صنعت هذه الفتاة ؟!
 لقد دفنت أختها الذي غودر مضرجا بدمه ، معفراً بثرى الجلبة ،
 وأشفتت أن تدعه لكلاب القلاة وبواشق الطير تنوشه وتنتزدي
 به ألا وآلهة الأوبل إنها بالكفاة أخلق ، وبالعطف
 والاعجاب أخرى ! بذلك تتاحلج السن القوم يا ابتاه ، وهم يرددونه
 في كل مكان ، فمن لك بمن ييلفك أقاويلهم غير ابنتك الذي يحرص
 على سمعتك وتقاتك كما تجهد أنت أن تبني له مستقبله وشهرته !
 أبداً لا تسمع للذين يفتنونك عن نفسك حين يقولون لك انك
 لا تعمل الا السواب ولا تنطق عن الهوى .: فمثل ذلك لا يكون
 بشراً ، في حين يخطف البشر ويصييون ! ألا وان من يدعي أنه
 أحكم الناس واطيبهم كلمة يتكشف لك اذا خبرته عن خواء ، وعن
 فؤاد هواء ! أبي ! ليس في الاصاحبة للحق ما يُخجل ، ولا في
 الرجوع عن الخطل ما يخزي ! ألا وان أضف الكلا ليقف
 لسيل العرم لأنه يلين له ، في حين يجرف سيل العرم أذهب
 الدوح في السماء لأنه يأتي أن يلين لشيء ! ألا وان الملاح الذي
 لا يرعى العنان لهوج الرياح يكسر قلاعه ويفقد في اللجة آماله ،
 فأى عار في أن تلين يا أعز الآباء ! انني ما أدعي الحكمة ،
 ولا أقول بلم كل شيء ، ولكنك غذوتني ، ونشأتني على الرأي
 السديد والتبصر ، فأنا أعظك أن تكون ممن لا يرى الا رأيه ،
 أو يتبع هواه فيردى ! »
 ويلح رئيس الخورس وجوماً بين الأب وابنه فيدخل قائلاً :
 — « مولاي ! لا خير أن تصني لما في نصيحتته من حق
 وانت يا هايمون بنيتي أن تتنفع بتجاريب مولاك ! »
 فيقول الملك : « ها ... هاها ... بسد هذه الستين وذلك

بالدسوع ، ويذكرون محبة بيت قدموس منشي طيبة وجد
 أوديب ، ثم يرتلون صلاة شمرية لزيوس مايوشكون يفرغون منها
 حتى يقبل هايمون الككين الماشق — خطيب أتييجوني —
 فيخاطب رئيس الخورس الملك قائلاً :
 — « هايمون أيها الملك ! ولدك الأوحده ، وآخر عسلوج
 في دوحتك ! ها هو ذا مقلا وقد حطمه الهم ، وهدمته المصيبة
 الفادحة ... أوه ! إنه يبكي ! يا للآلهة ! أيدرف الدمع من أجل
 حبيته ... الضحية ؟ أم هو قد جاء يلتمس منها نظرة للوداع ! »
 « يدخل هايمون »
 — « من يستطيع أن يمدس ؟ سنعلم كل شيء فانتظر .
 (مخاطباً ولده) أحق يا بني أنك جئت الى هنا مدفوعاً بثورة من
 الهم مما آل اليه أمر خطيبتك ؟ أأكبر ظني أن حبك اباك سيرجع
 عندك كل حب ، وطاعتك اياه ستبرر لديك تصرفاه هما تكن ! »
 ويصبر قليلاً كمن جف لسانه من الظما والفتية ، ويقول :
 « أنا ابنك يا ابتاه ! سأخضع لكل ما ترى من رأي ، وان أوثر
 على محبتك أجل حبان الخلد »
 — « بورك فيك يا ولدي ! لقد كان هذا أكبر رجائي
 في رجاحة عقلك وعظم قلبك ! إنه ليس أحب الى الآباء من ذرية
 سالحة طيعة يخزون بها الأعداء ، ويسرون بها الأصدقاء ؛ وإني
 لأثق أن هايمون اللبيب لن يفقد صوابه من أجل امرأة !
 اسحقها يا بني كما تسحق ألد أعدائك ، وابث بروحها الشريرة
 تبحث لها من زوج شرير في ظلال هيدز ! ! لقد تارت وحدها
 على الملك وعلى مجلس طيبة ، وقد سمعنا على إعدامها من أجل
 ذلك ، ولن ننكس على أعقابنا فيما أبرمنا ! إننا هنا لا نعلم علينا
 ونحن أصحاب الأمر والنهي ، وقد ركزت المدينة الخالدة سلطانها
 المين في شخصنا فيجب أن تطاع إطلاقاً ولو كانت أوامرنا ضرباً
 من الشطط ... إنه لا يهدم عظمة الشموب كقيام الرعية ضد
 ملوكها ولا يهزم الجيش العرسم ذا الأيد كعصيان جنوده قواده !
 وسيرى الجميع أنني هنا لأحى القانون ، وأنني لست هنا لأذل
 أو أتقهقرامام امرأة ! »
 ويقترب رئيس الخورس من الملك فيقول : « الحق قلت ،
 والحق دائماً تقول ! »

- « لو لم تكن ملكي وأبي ، لوعتلك مذهوباً به !! »
 « أنت ! أيها الفتون ! يا من تصيبك امرأة ! أصمت !
 لا ترد علي ! »
 « ليكون كل الكلام لك ! »
 « محال ! هذا محال ! لا بد أن تجرع كأس النون بين
 يدي عشيقها ! لا بد أن تردى أمام ناظره وملء عينيه ! الى
 بها ... »
 « بل هذا هو المحال ! لا تحمل يا أبتاه بتجريمها كأس
 الموت من يدك أمام نظري ... بل لا تحمل بأن تراني آخر الدهر
 بعد الآن ! » (١)
- « وينطاق هايمون »

— ٨ —

- ويقول رئيس النشدين : « مولاي ! لقد أخذ الغضب منه
 كل مأخذ ، والشباب الغضب يركب رأسه اذا أهين كبرياؤه ،
 وقد يأتي من الفعال ما لا تحمد عقباه ! »
 « ليفعل ما يبداه ! ليركب رأسه في طريق من الشوك
 انه لن ينقذ الفتاتين مما قسم لها »
 « الفتاتان ! وهل تقفلان كتابهما ؟ »
 « معك حق ! بل الطائشة وحدها ... تلك التي فملت
 الفعلة ! »
 « وبأية طريقة توقع عليها عقوبة الاعداء ؟ »
 « في القبو ! القبو المظلم تحت هذا القصر . ستفرد
 فيه وسيقرش لها مهاد من الشوك يحز روحها وبدنها حتى تموت
 ولتسبد هنالك آلهتها ... آلهة الفناء ... حتى تقضى فيها
 قضاءها ... »

« ويخرج كرون »

« ديشي غشبية »

(لها بنية)

(١) تحب أن هذه الثورة من سوفوكليس على سلطان الآباء هي
 الأولى من نوعها في تاريخ الأدب . وكم تلة المقارنة في ذلك بينه وبين مسويل
 بطر في كتابه (The Way of all Flesh) وبينه وبين شو في قصته
 (Misalliance)

تصحيح

جاء في مقال « مقتل أبي الطيب المتنبي » المنشور في هذا العدد صفحة
 ١٢١٤ سطر ١٣ من السور الأول : « تقام فانك وفضن ثوبه من
 توت الأعراب الخ ... » وصوابه : « تقام فانك وفضن ثوبه وجمع من
 توت الأعراب ... »

- الشيب يرشدنا هذا الصبي الطير ! ! »
 فيقول هايمون : « بما هو حق لحسب ؟ ولا حساب للسنين
 في ضرورة تزل بك ظهيرة ! »
 « وأي ضرورة في أن تلوذ بأذيال الثاثرين ؟ »
 « أبدأ لم ألد بأذيال مجرم أفاق يا أبي ! »
 « وله ؟ أليست قد نهضت عليها الأدلة ودمغتها البراهين »
 « حاشا ! إن طيبة كلها تنكر ذلك ؟ ! »
 « وهل طيبة تحمكي أم أنا الذي أحكم طيبة ؟ »
 « في الحق انها هي ... لولا أن تسفقه نعومة سني
 وتنسبني للثرق ! »
 « أي ان آخرين يشركونني في أمري ؟ ! »
 « ان رجلاً بمقرده لا يقوم مقام مدبنة بأسرها يا أبي ! »
 « أو ليست كل مدينة في قبضة ملكها ؟ »
 « هذا اذا كان الملك يحكم كشيئنا في صحراء !
 ويكون الملك قد جعل صبره فيقول :
 « اذن ... أنت حامي المرأة أيها البطل الصغير ؟ »
 « أنت هو المرأة ! ... وأنت وحدك الذي تمنيني ! ! »
 « وقع ! نأبي إلا أن تناقش أباك ... سفسة ! ! »
 « بل أجهد أن أدرك عن التمداد في خطتك ! »
 « وأي خطأ في أن أويد سلطاني وأحفظ وقاري ؟ »
 « وأي وقار في تحقير الآلهة ؟ »
 « أيها الشرير ! يا من تأخذ بزمامك امرأة ؟ »
 « أجل ... ولكنها لن تعودني الى مفسدة ! »
 « ولذا بذلت لها ذفاعك ! »
 « بل بذلت لك ولي ... وبذلت من أجل الآلهة في الدار
 الآخرة ! ! »
 « انها ان تعيش حتى تكون زوجتك في هذه الدار
 الأولى ! ! »
 « أعرف ... وأعرف أيضاً من تكون سبب خرابه
 وانهباره بموتها ! ؟ »
 « هه ! أنت تههد وتوعد أيها العاق (يا قليل الأدب !) »
 « ليس يتوعد ولا يهدد من يقول قولاً للحق ... والحق
 الصراح ! ! »
 « هه ... هاها... ستدفع بمن هذه القحة ! أيها الناصح
 النبي ! ! »

البريد الأدبي

الأدب الهندي في مختلف أطواره

الى التنوع والابتكار ؛ وكان أشهر شعرائها بهارى ، وماتيرام ، وبوشان ، ومردهار كاويرايا

وبعدئذ طرأ على الشعر الهندي تطور عظيم ، وأخذت الهندية الحديثة تحمل تدريجياً مكان الهندية القديمة ؛ وتطور الشعر ذاته فأخذ الشعراء يصفون الطبيعة والمسائل الاجتماعية والسياسية ، وكان البنديت شريدار باتالا في مقدمة الشعراء الذين استعملوا الهندية الحديثة ، ومن مشاهير الشعراء المحدثين أيضاً ، أبوديا سنغ أو بادايا ، وسهاير دثيدي ، ورمشاريت أو بادايا ، وسريعاتي ماديني فارما

وأحدث أطوار الشعر الهندي ، هو توجهه نحو « التصوف » وقد كان البادي بهذا النوع الحديث من الشعر الشاعر الأمريكي والت هويتان

وكان في الأدب الهندي قبل مجيء الانكليز قليل من كتب النثر ، وكان سادا سكالل ، وانشاء الله ، وسادالا مسرا طلائع النثر في الأدب الهندي ، ثم جاءت البعثات التبشيرية بعد ذلك وترجمت الكتب النصرانية إلى الهندية ؛ وألف الكاتب ساراسواتي كتبه بالنثر ومنها كتابه الشهير « ستيارث براكاشي » وذلك لكي ينشر دعوته الشهيرة « الآرياسماج » ، وكان أعظم الكتاب الناشرين في هذا العصر بارتندو هاريشاندرا ، فكتب بالنثر عدة قصص تمثيلية وأذاع دعوة النثر بين أصدقائه ؛ وظهرت في ذلك العهد أيضاً بعض المجلات التي تكتب بالهندية المنثورة ، ويعرف هذا العهد بمهد بارتندو

ويعرف العهد الثالث من النثر الهندي بهمد « ماهابير براساد » ، في سنة ١٩٠٣ انتخب هذا الكاتب الشهير لتحرير مجلة « ساراسواتي » في الله آباد ، وقد كانت أشهر مجلة أدبية في ذلك العهد ، وقد استطاع ساراسواتي أن يخاق بواسطة هذه المجلة معياراً جديداً لكتابة النثر الهندي ، وأن يماون على الظهور كثيراً من كتاب الشباب

تتكون اللغة الهندية الحديثة من ثلاثة عناصر ؛ من أصول سنسكريتية خالصة ، ومن أصول سنسكريتية حورت بحسب الحاجة ، ومن أصول حديثة مبتكرة أو مشتقة من اللغات الأخرى وهذه الأصول الثلاثة هي اليوم قوام اللغة الهندية المعروفة « بالهندستاني » أما اللغة الهندية التي اشتقت من الأصول الفارسية والبرية فتسمى باللغة الأوردية

ويبدأ الأدب الهندي ، كما تبدأ معظم آداب العالم ، بالشعر ؛ وينقسم الشعر الهندي القديم إلى ثلاث مراحل تتمشى مع سير التاريخ الهندي . فنذ القرن العاشر الى القرن الرابع عشر حيث تكثر الحروب الأهلية والنزو الأجنبي ، يسود الشعر عنصر الفروسية ، وكان الملوك يومئذ يلحقون الشعراء بمحاشيتهم ، ليشيروا الحماسة في الصدور بشعرهم . وكان أعظم شاعر في هذا العصر هو شانديارداس صاحب المقموعة الشعرية الخالدة : « يرتفيراغ رازو » ، ووليبة الشاعر بوشان صاحب مقطوعة « شيفاباواني » وبعد الفتح الاسلامي ضعف شعر الفروسية في الهندية ؛ فقد رأى الهنود ما أصاب دينهم من اللثة ومباذم من الهدم ، فأنجمهوا نحو الشعر الديني ، واستمرت هذه المرحلة من القرن الرابع عشر حتى القرن السابع عشر ؛ وينتجى جماعة من أقطاب الشعر الهندي الى هذا العصر مثل كبير ، وجورو ، وناناك ، وجياسي ، وميرابي ، وكيشافا ، وصور ، وتولسي ، وتولسيداس وقد وهب هؤلاء الشعر الأدب الهندي تحفاً رائعة من الشعر الخالد ؛ وكان تولسيداس بالأخص نبياً كما كان شاعراً عظيماً ؛ وكانت تحفته الخالدة « رامايان » عاملاً في توثيق أوامر الوحدة الهندية . وقد ساهم الكتاب المسلمون في نهضة الشعر الهندي في ذلك العصر ، وان لم يكن شعرهم كله من النوع الديني

وأما المرحلة الثالثة من شعر العهد القديم ، فقد عرفت بمرجلة الشعر الشرعي ؛ وقد ساد فيها السلام نوعاً ، وأجبه الشعراء

and Women وتعالج الدكتورة استوبس في كتابها الجديد ناحية جديدة من الحياة الزوجية هي التطورات التي تطرأ على علائق الزوجين وعواملها النفسية والاجتماعية ، وتحول عواطف الشباب إلى عواطف الكهولة ؛ وتتناول بين موضوعات كتابها ما يأتي : التقدير الحسن والأزمات ، التطور في الرجل والمرأة . بعض عوامل فيسيولوجية في الرجل ، بعض عوامل فيسيولوجية في الجنسين ، بعض هذه العوامل في المرأة ، بعض وسائل المعالجة .. الخ وللدكتورة ستوب شهرة واسعة جداً بين الشباب الإنكليزي وهو يقبل على قراءة مؤلفاتها شغف ؛ مثال ذلك أنه بيع من كتابها من « الحب الزوجي » نحو مليون نسخة في عشرين عاماً ؛ ولها عدة كتب أخرى تلاقى في انكلترا وأمريكا مثل هذا الانتشار المدهش

أثر ترطاري للموسيقى لست

من أبناء النمسا الأخيرة أن الحكومة النموية قد أعدت أترأ تذكارياً للموسيقى النموي الكبرى فرازلست لينصب في مدينة ايزنشتات من أعمال مقاطعة بورجنلند النموية ، وذلك بمناسبة مرور خمسين عاماً على وفاته و مرور مائة وخمسة وعشرين عاماً على مولده ؛ وقد ولد لست في سنة ١٨١١ في ريدنج من أعمال المجر يوم كانت قطعة من الأمبراطورية النموية ودرس في فينا وباريس ، ونبغ في الموسيقى تأليفاً وعزفاً ، وطاق عواصم القارة وبهر مجتمعات ذلك العصر ببراعته وحر عزفه ؛ وفي سنة ١٨٦٥ اعتزل الحياة الدنيا واعتنق الرهبنة ، ولكنه اشتغل بالموسيقى الكنسية ، وألقى في كنائس أوروبا الكبرى عدة قدامات موسيقية اشتهرت في ذلك العصر ، وحجت اليها الجماهير من مختلف أنحاء العالم ، وتوفى لست في سنة ١٨٨٦ ، ومع أن لست كان مجرياً بمولده ، فهو نموي التربية والفن ، ولذلك رأت الحكومة النموية أن تكرم ذكره بصنع هذا الأثر التذكري ونصبه في مدينة ايزنشتات وهي التي عاش فيها لست أعواماً طويلة ، وهذا الأثر عبارة عن تمثال رائع قام بصنمه الفنان الشهير ان باراي وتساناور ؛ وقد أجرى وقع الستار عن الأثر التذكري في حفل رائع في مدينة ايزنشتات . خطب فيه وزير المعارف ونوه ببعمية الموسيقى الشهير ، واختتمت الحفلة بمزف بعض قطع شهيرة من تأليفه

ويبدأ النقد الأدبي في الأدب الهندي من ذلك التاريخ ، وكان أشهر النقاد يومئذ المهامير براساد دويفيدى ، والتبديت شارما ، وبابوشياموندراس ، والتبديت شوكللا

ويمتاز المهدي الحاضر من النثر الهندي بنشاط جم في جميع الفنون ، وقد أدت ترجمة القصص البنغالية الحديثة إلى العناية بوضع قصص هندية مسرحية ، وفي مقدمة مؤلفي المسرح اليوم جاباشانكار براساد ، بيد أن الرأي العام لا يهتم الآن كثيراً بهذا النوع من الأدب بمد أن زاحه القصص العام والسينما وأهم أنواع الأدب الهندي الثور اليوم هو القصص ، وقد أدخلت القصة القصيرة إليه حديثاً ، وأعظم كتاب القصص الهندي هو « مونشي برمشاند » ، وقصصه من أعظم وأرفع الأنواع ، ولو أنها توصف أحياناً بأنها مفرقة في المثل ، وأسلوبه نموذج للشباب

وأما جلياشانكار براساد فهو فنان وشاعر يضع قطعاً مسرحية فوق مستوى القاري العادي

وأشهر كتاب القصص في الهند اليوم هم سودارشان ، وأورجا وشاتورسن ساستري ، وجانندرا ، وهناك مئات الكتاب الشبان الذين ينقطعون لكتابة القصة ؛ ومادة القصص هي في الغالب المسائل الاجتماعية والسياسية ، وهناك قليل من الكتاب الفكهين

وهناك مجلات هندية كثيرة من الدرجة الأولى ، ومن أشهرها : شاند ، وسارسواتي ، وهانس ، ومدهوري ، وآرج ، وبرأتاب ، ونافوج ، وفارتمان ، وغيرها أما الأدب العلمي فلم ينضج في الهندية بمد ، ولم يكثر إنتاجه . ذلك أن الهندية ليست وسيلة للتعليم الفني ؛ ومع ذلك فقد ظهرت بالهندية عدة كتب علمية وفنية

ومن الظواهر الجديدة في الأدب الهندي ، أن كثيراً من الكتاب الذين لا يتكلمون بالهندية يكتبون اليوم بها ؛ ومن هؤلاء أمير خسرو ، ورحيم ، وأمير على مير ، وغيرهم من الكتاب السليين

كتاب هيربر لاري ستوبس

صدر أخيراً كتاب جديد للدكتورة ماري استوبس M. stopes التي اشتهرت بمباحثها عن الحياة الزوجية ، عنوانه « تطور الحياة عند الرجال والنساء » Change of Life in Men